أصول الدين
عند الأئمة الأربعة واحدة

الدكتـــور
ناصر بن عبدالله القفاري
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
بجامعة الإمام محمد بن سعود - فرع القصيم

دار الوطن
الرياض - شارع المعذر - ص.ب: ٣٣١٠
☎ ٤٧٩٢٠٤٢ - فاكس: ٤٧٦٤٦٥٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبـعـة الأولـى

١٤١٤هـ

المقدمـــــــة

الحمـد لله نحمـده ونستعينـه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنـا ومن سيئـات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وآله وسلم. . .

أما بعــد:

فهذه رسالة في بيان أن أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة وهي في الأصل بحث تشرفت بإعداده لإلقائه في «ملتقى الفكر الإسلامي الثاني» المقرر عقده في «كوالالمبور» في ٥ جمادى الأولى عام ١٤١١هـ. ولم ينعـقـد هذا الملتقى لأسبـاب لم أعرفها. . ورأيت نشره بعد زيادة وتحرير علَّ فائدته تعم، ونفعه يبقى. .

وأسأل الله سبحانه أن ينفع به وأن يجعله خالصًا لوجهه، وذخرًا لي يوم ألقاه. . والحمد لله أولاً وآخرًا.

ناصر القفاري

١٤١٤/٧/١٠هـ

خطـة البحث

وقد رأيت عرض هذه المسألة وفق الفصول التالية :

الأول : التعريف بمصطلح أصول الدين .

الثاني: التعريف بالأئمة الأربعة .

الثالث: بيان وحدة العقيدة عند الأئمة .

الرابع: جمل من اعتقاد الأئمة ومصنفاتهم تشهد باتفاقهم .

توطئـــة

إن الوحدة العقدية للأمة هي أصل اجتماعها، وأساس ائتلافها فهم بالعقيدة الواحدة أمة واحدة وإن فرقت بينهم الحدود الجغرافية والسياسية، واختلفت لغاتهم وتباعدت أوطانهم أما إذا اختلفت العقيدة فهم متفرقون متنابذون وإن جمعتهم اللغة والأرض والتاريخ والحدود. وشواهد الماضي وأحداث الواقع خير دليل وشاهد.

ومن نعم الله ـ عز وجل ـ إن مقومات الوحدة العقدية في حياة الأمة راسخة وقائمة وممتدة.. فالأمة معصومة بكتاب ربها وسنة نبيها من الضلال الشامل فلا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين إلى أن تقوم الساعة وهي الطائفة الناجية المنصورة.

ومن أصول الإسلام لزوم الجماعة والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف وربنا واحد ورسولنا واحد وكتابنا واحد وديننا واحد.. وأصول الدين ليس بين السلف وأئمة الإسلام فيها خلاف ولا يسوغ فيها الافتراق، والله سبحانه يدعو عباده إلى الاجتماع على الحق ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا**﴾ ولن يجتمعوا إلا على الحق والهدى.

وما من نزاع إلا وفي كتاب الله وسنة نبيه سبيل رفعه لأن الله يقول: ﴿**فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله**﴾.

والفرقة والاختلاف هي سبيل من حاد عن طريقة رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم، لأن الله يقول: ﴿**إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء**﴾. والخلاف المؤثر في الاعتقاد لم يقع بين سلف الأمة وأئمتها وإنما وقع عند المتأخرين.

وقد يوجد عند بعض أهل السنة أخطاء في مسائل الاعتقاد أو غيرها

ولكن لا يجمعون على خطأ بحمد الله كما جاء بذلك الخبر عن رسول الله، صلى الله عليه وآله وسلم.

ولقد نُسِب إلى بعض الأئمة جمل من الأقوال الباطلة على يد بعض المتأخرين إما جهلاً أو مكرًا وتلبيسًا، قال بعض الأئمة «واعلم أن كثيراً من المصنفين ينسب إلى أئمة الإسلام ما لم يقولوه فينسبون إلى الشافعي ومالك وأحمد وأبي حنيفة من الاعتقادات الباطلة مالم يقولوه، ويقولون لمن تبعهم هذا الذي نقوله إعتقاد الإمام الفلاني فإذا طولبوا بالنقل الصحيح عن الأئمة تبين كذبهم كما تبين كذب كثير من الناس فيما ينقلونه عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويضيفونه إلى سنته من البدع والأقوال الباطلة»(١) قال **المعصومي**: «قد اخترع بعض المتأخرين مسائل ونسبها إلى بعض الأئمة»(٢) **وقد ذكر شيخ الإسلام** جوامع من أصول الباطل الذي ابتدعها من ينسب للسنة والمذاهب الأربعة(٣).

كما أحدثت وسائل خفية من المكر والكيد والتلبيس في ذلك سيقف القارىء عليها في ثنايا هذا البحث، ولكن يستحيل بحمد الله أن ينتشر قول باطل بين سواد الأمة وينسب لدين الله وشرعه ولا يقيض الله سبحانه من يتصدى له ويبين بطلانه **ولذا قال أهل العلم**: كان الأمم قبلنا إذا بدلوا دينهم بعث الله نبيا يبين الحق وهذه الأمة لا نبي بعد نبيها فكانت عصمتها تقوم مقام النبوة فلا يمكن أحد منهم أن يبدل شيئًا من الدين إلا أقام الله من يبين خطأه فيما بدله ولذلك فإن الله سبحانه قرن سبيل المؤمنين بطاعة رسوله في قوله عز وجل: ﴿**ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نُولِّهِ ما تولى ونُصلِهِ جهنم وسآءت مصيرا**﴾ [سورة النساء، الآية: ١١٥].

(١) الدرر السنية: ٢/٢٠٦.
(٢) هل المسلم ملزم... / المعصومي ص٩.
(٣) الفتاوى ٣٠/٣٨٤ ومابعدها.

الفصل الأول

مفهوم أصول الدين

- **المبحث الأول:** الحقيقة الشرعية لأصول الدين.
- **المبحث الثاني:** المفهوم الباطل لأصول الدين.
- **المبحث الثالث:** من أثر الجهل بحقيقة أصول الدين.
- **المبحث الرابع:** أسماء أخرى لأصول الدين.

مفهوم أصول الدين (١)

لقد أصبح هذا المصطلح في كلام الناس ـ وبعد ظهور الفرق وفشو البدع ـ لفظًا مجملاً يراد به حق ويراد به باطل وإليك البيان.

١ ـ الحقيقة الشرعية لأصول الدين:

المفهوم الحق لمصطلح أصول الدين هو أصول الإيمان الستة التي أجاب بها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، جبريل حين سأله عن الإيمان فقال صلوات الله وسلامه عليه: «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»(٢) فهذه هي أصول الدين وأركان الإيمان، وهي ما جاء في قوله سبحانه: ﴿**آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله**﴾[سورة البقرة، الآية: ٢٨٥]. وقوله: ﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين..**﴾ [سرة البقرة، الآية: ١٧٧]. وقوله: ﴿**إنا كل شيء خلقناه بقدر**﴾[سورة القمر، الآية: ٤٩].

---

(١) أصول: جمع أصل والأصل في اللغة مايبنىٰ عليه غيره، واصطلاحًا ماله فرع لأن الفرع لا ينشأ إلا عن أصل.. وهذا المعنى هو المراد من إطلاق التسمية؛ لأن الاعتقاد هو الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحتها.. ولأهل العلم عدة إطلاقات لمصطلح الأصل، فيطلق ويراد به الدليل وهو غالب استعمال الفقهاء، كقولهم: «أصل هذه المسألة الكتاب والسنة»، والاطلاق الثاني على الرجحان كقولهم: «الأصل في الكلام الحقيقة دون المجاز» والثالث على القاعدة المستمرة كقولهم: «أكل الميتة على خلاف الأصل» والرابع على المقيس عليه ولذا قالوا في تعريف القياس: إلحاق فرع بأصل.. إلخ [ينظر شرح الكوكب المنير ١/٣٨ ـ ٤٠.

(٢) الحديث أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

٢ ـ المفهوم الباطل لأصول الدين:

ويطلق هذا المصطلح ويراد به باطل وهو أن طائفة من أهل الكلام سمت ما وضعته من معتقدات لا أصل لها [أصول الدين] قال بعض أهل التحقيق[١] في التعليق على تلك التسمية: «وهذا اسم عظيم (يعني اسم أصول الدين) والمسمى به فيه من فساد الدين ما الله به عليم (يعني بالمسمىٰ به الأصول التي أحدثها المتكلمون وسموها بذلك الاسم العظيم) فإذا أنكر أهل الحق والسنة ذلك قال المبطل: قد أنكروا أصول الدين، وإنما أنكروا ما سماه هذا أصول الدين وهي أسماء سموها هم وأباؤهم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان.

فالدين ما شرعه الله ورسوله، وقد بيَّن أصوله وفروعه ومن المحال أن يكون الرسول قد بيَّن فروع الدين دون أصوله[٢].

٣ ـ من أثر الجهل بالمفهوم الشرعي لأصول الدين:

إن الجهل بالحقيقة الشرعية لأصول الدين (بالنسبة لمسألتنا) يلزم منه تصور خلافات ومنازعات بين الأئمة لا وجود لها، ذلك أن من أتباع الأئمة من خاض في الكلام ورأى أن ما جاء به هو من أصول الدين وربما نسب ذلك لإمامه توهمًا منه وجهلاً، فيظن القارىء لتلك المجادلات والمنازعات والخلافات إنها المأثورة عن الأئمة بل بلغ الأمر ببعض أتباع الأئمة أن خالف الأئمة مخالفة صريحة وهو يظن أنه متبع لهم بل ربما كفر من وافقهم.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد رأيت من أتباع الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد من يقول أقوالاً ويكفر من خالفها وتكون الأقوال المخالفة هي أقوال أئمتهم بعينها كما أنهم كثيرًا ما ينكرون أقوالاً ويكفرون

---

(١) ابن تيمية / الفتاوى ٤/٥٦.

(٢) ينظر الفتاوى ٦/٥٦ ـ ٥٧.

من يقولها وتكون منصوصة عن النبي، صلى الله عليه وسلم، ـ لا سيما في باب الأسماء والصفات ـ لكثرة ما وقع من الاشتباه والاضطراب في هذا الباب ولأن شبه الجهمية النفاة أثرت في قلوب كثير من الناس حتى صار الحق الذي جاء به الرسول، صلى الله عليه وسلم، وهو المطابق للمعقول لا يخطر ببالهم ولا يتصورنه»[١].

لأنهم بحثوا عن أصول الدين من غير ينبوعها، فعدوا من أصول الدين ما ليس منها، وأنكروا ما هو منها، وتاهوا في بيداء مظلمة عن الإعتقاد الواحد الحق.. «ولو اعتصموا بما جاء به الرسول لوافقوا المنقول والمعقول وثبت لهم الأصل ولكن ضيعوا الأصول فحرموا الوصول؛ والأصول اتباع ما جاء به الرسول»[٢].

٤ ـ أسماء أخرى لأصول الدين:

ومن أسماء أصول الدين «السنة» وللأئمة مصنفات في الاعتقاد تحمل هذا الاسم، وإنما سموه باسم السنة لأن خطره عظيم وشأنه كبير، والمخالف فيه على شفا هلكة كما يقول ابن رجب ـ رحمه الله[٣]، كما يسمونه «الفقه الأكبر» بالنسبة لفقه الفروع وينسب للإمام أبي حنيفة كتاب بهذا الاسم، وكذا الإمام الشافعي[٤].

---

(١) درء تعارض العقل والنقل ٢/٣٠٨ ـ ٣٠٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ١٣/١٥٧.

(٣) انظر كشف الكربة لابن رجب. ص١٢، وجامع العلوم والحكم ص٢٣٠.

(٤) ويشك كثير من الباحثين في صحة نسبة الكتاب لأبي حنيفة، ومن قرأ الكتاب المطبوع المسمى بالفقه الأكبر والمنسوب للشافعي جزم بأن الإمام لم يُصنفه كيف وطريقة أهل الكلام هي لحمة الكتاب وسداه مع أن الإمام الشافعي حذر من الكلام وأهله ورأى أن الاشتغال به من أكبر الذنوب وأن من كان من أهله يستحق التعزير والتشهير فكيف يسلك طريقتهم ويأخذ بآرائهم =

ويطلق عليه أسماء أخرىٰ مثل «العقيدة» و «التوحيد» و «الأصول» و «الإيمان» وغيرها[١].

ومن ثمرة الوقوف على أسماء هذا العلم معرفة مصادره الأصيلة إذ أن جملة من مصادر هذا العلم تسمىٰ بغير اسم أصول الدين وبغير الأسماء الشائعة اليوم، فنجد مثلاً: مصنفات كثيرة في هذا الشأن وضعها الأئمة وهي تحمل اسم «السنة» كالسنة لابن أبي عاصم والسنة للخلال، والسنة للإمام أحمد، والسنة للإمام عبدالله وغيرها[٢] والوقوف على المصادر الأصيلة لهذا العلم والتلقي عنها هو المنهج العلمي والطريق الطبيعي لمعرفة حقيقة أصول الدين.

= في ذلك الكتاب علاوة على أن فيه مباحث لم توجد في عصره عليه الصلاة والسلام.

(١) ينظر مباحث في الاعتقاد للدكتور ناصر العقل، ومقدمات في الاعتقاد للمؤلف.

(٢) ينظر المصدر السابق.

الفصل الثاني

التعريف بالأئمة الأربعة :

- **المبحث الأول:** المراد بمصطلح الأئمة الأربعة .
- **المبحث الثاني:** التعريف بالأئمة الأربعة .

المراد بمصطلح الأئمة الأربعة:

إذا أطلق هذا الاسم (الأئمة الأربعة) انصرف إلى الأئمة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وذلك عبر قرون خلت وإلى اليوم.

وقد كان هذا المصطلح في عصر تابعي التابعين إذا أطلق يراد به الأئمة الأربعة الذين يصفهم ابن تيمية بأنهم أئمة الدنيا في عصرهم، وهم:

١ ـ مالك بن أنس[١] بالحجاز.

٢ ـ الأوزاعي[٢] بالشام.

٣ ـ الليث بن سعد[٣] بمصر.

٤ ـ الثوري[٤] بالعراق.

---

(١) ستأتي ترجمتهما.

(٢) عبدالرحمن بن عمرو بن محمد أبو عمر الأوزاعي أحد أئمة الإسلام والسادة والأعلام، قال مالك كان الأوزاعي إماماً يقتدى به، وقد أثنى عليه غير واحد من الأئمة، وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته، توفي ببيروت مرابطاً سنة سبع وخمسين ومائة على الصحيح [انظر البداية والنهاية: ١٠/١١٥، ابن النديم الفهرست ١/٢٢٧ تهذيب الأسماء واللغات: ١/٢٩٨، الإمام الأوزاعي لأنيس النصولي].

(٣) قال الذهبي: «الليث بن سعد الإمام الحافظ شيخ الديار المصرية ورئيسها أبو الحارث الفهمي مولاهم الأصبهاني الأصل المصري، كان كبير الديار المصرية وعالمها الأنبل، حتى أن نائب مصر وقاضيها من تحت أوامره، توفي سنة خمس وسبعين ومائة وله إحدى وثمانون سنة».
[انظر: تذكرة الحفاظ: ١/٢٢٦، وفيات الأعيان: ١/٣٤٨، تهذيب التهذيب: ٨/٤٥٩، تاريخ بغداد: ١٣/٣، حلية الأولياء: ٧/٣١٨].

(٤) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري (أبوعبدالله) أحد أئمة الإسلام والمقتدى به، قال جمع من الأئمة: هو أمير المؤمنين في الحديث، قال الإمام أحمد: الإمام: سفيان الثوري وقال ابن المبارك كتبت عن ألف شيخ ومائة شيخ هو أفضلهم، روى عن غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم توفي بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة [ينظر في ترجمته: البداية والنهاية ١٠/١٣٤، الحلية ٦/١: ٣٥٦، ٧/٣ ـ ١٤٤؛ تهذيب التهذيب: ١١١].

وفي عصر أبي عبيد القاسم بن سلام كان الأئمة الأربعة هم:

١ ـ الشافعي[١].

٢ ـ وأحمد[٢].

٣ ـ وإسحاق[٣].

٤ ـ وأبو عبيد[٤].

ثم استقرت الشهرة بالأئمة الأربعة للإمام: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد[٥].

التعريف بالأئمة الأربعة:

وشهرة هؤلاء الأئمة الأعلام، تغني عن تفصيل سيرتهم ولذا سنكتفي بنبذة قصيرة عن كل إمام مع الإحالة إلى المراجع المهمة للراغب في تنزيه النظر، وإمتاع الفكر، والعظة والاعتبار في سيرة هؤلاء الأئمة.

(١، ٢) ستأتي ترجمتهما.

(٣) الإمام الحافظ الكبير شيخ أهل المشرق المعروف بابن راهويه (إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم المروزي أبو يعقوب) قال أحمد: لا أعلم لاسحاق بالعراق نظيراً قال البخاري: مات ليلة نصف شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين وله سبع وسبعون سنة. [تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤٣٣، الكامل لابن الأثير: ٧/ ٢٣، تهذيب التهذيب: ١/ ٢١٦، الحلية: ٩/ ٢٣٤].

(٤) الإمام المجتهد البحر القاسم بن سلام البغدادي، صاحب المصنفات، قال الذهبي «من نظر في كتب أبي عبيد علم مكانه من الحفظ والعلم، كان حافظًا للحديث عارفًا بالفقه والاختلاف، رأساً في اللغة إماماً في القراءات، توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ، [ينظر في ترجمته: تذكرة الحفاظ: ٢/ ٤١٧، تهذيب التهذيب: ٧/ ٣١٥، وفيات الأعيان: ١/ ٤١٨].

(٥) بيان اختلاف إطلاق مصطلح الأئمة الأربعة من عصر إلى عصر عن ابن تيمية الفتاوى جـ٥/ ٣٩، ٥١.

وينظر سير أعلام النبلاء / ج٨ ص ٧٦.

أبو حنيفة : [٨٠ - ١٥٠ هـ]

الإمـام فقيه الملة، وعـالم العـراق، وأحـد أئمة الإسلام، والسادة الأعلام وأحد أركان العلماء، أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي ولد سنة ٨٠ في حياة صغار الصحابة، ورأىٰ أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة. . عني بطلب الآثار وارتحل في ذلك. وأما الفقه والتدقيق في الرأي وغوامضه فإليه المنتهىٰ، والناس عليه عيال في ذلك، حدث عنه خلق كثير، وقـد صنفت في ترجمته مصنفات مثل: «**مناقب الإمام الأعظم أبي حنيفة**» للموفق المكي، «**ومناقب الإمام الأعظم**» لابن البزار، «**وفضائل أبي حنيفة وأخباره ومناقبه**» لعبدالله السعدي، «**وقلائد عقود العقيان في مناقب أبي حنيفـة النعـمان**» لعبـد العليم القـربتي، و «**أبو حنيفة**» لأبي زهرة، و «**المطالب المنيفة في الذب عن الإمام أبي حنيفة**» لمصطفى نورالدين، و «**أبو حنيفة بطل الحرية والتسامح في الإسلام**» لـ عبدالحليم الجندي، و «**حياة الإمام أبي حنيفة**» لـ سيد عفيفي، وغيرهم[1] ونشر عنه في عدد من الدوريات[2].

---

(١) انظر ترجمته عند:
طبقات خليفة/١٦٧، الخطيب البغدادي ـ تاريخ بغداد: ٣٢٣/١٣، ابن الأثير/ الكامل في التـاريخ: ٥٨٥/٥، ابن خلكـان وفيات الأعيان: ٤١٥/٥، الـذهبي ـ تذكـرة الحفـاظ: ١٦٨/١، سير أعـلام النبـلاء: ٣٩٠/٦، النـووي/تهـذيب/الأسماء واللغات: ٢١٦/٢، الشـيرازي/ طبقـات الفقهـاء: ٦٧ ابن عبدالبر ـ الانتقاء: ١٢١، اليافعي/ مرآة الجنان: ٣٠٩/١، ابن تغرى بروى: ١٢/٢، ابن كثير/ البداية والنهاية: ١٠٧/١٠، ابن العماد ـ شذرات الذهب: ٢٢٧/١.

(٢) انظر معجم المؤلفين ١٠٥/١٣.

مالك بن أنس : [٩٣ - ١٧٩هـ]

الإمام الحافظ فقيه الأمة، شيخ الإسلام، إمام دار الهجرة، أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي المدني، **قال الذهبي**: اتفق لمالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره.

أحدها: طول العمر، **وثانيها**: الذهن الثاقب، والفهم وسعة العلم **وثالثها**: اتفاق الأئمة على أنه حجة صحيح الرواية، **ورابعها**: تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن، **وخامسها**: تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده(١).

وقد صنفت في سيرته مصنفات . . منها فضائل مالك لأبي الحسن بن فهر المصري ولمحمد بن أبي زهرة كتاب: «**مالك بن أنس، حياته وعصره. .**» ولأمين الخولي ترجمة لمالك بن أنس(٢) في ثلاثة أجزاء، والإمام مالك لمصطفى الشكعة وعقدت في المغرب ندوة عن الإمام مالك خرجت أعمالها في ثلاثة أجزاء، وفي ترتيب المدارك للقاضي عياض أجمع ترجمه كتبت عن مالك وفضائله ومناقبه كثيرة(٢).

---

(١) تذكرة الحفاظ: ٢١٢/١.

(٢) ينظر في ترجمته جماع العلم للشافعي/٢٤٢، تاريخ خليفة بن خياط: ٤٣٢/١، ٧١٩/٢، طبقات خليفة/ ٢٧٥.

ابن خلكان/ وفيات الأعيان: ٥٥٥/١ - ٥٥٧، ابن النديم/ الفهرست: ١٩٨/١ - ١٩٩، النووي/ تهذيب الأسماء واللغات: ٧٥/٢ - ٧٩، الذهبي/ تذكرة الحفاظ: ١٩٣/١ - ١٩٨، عياض/ ترتيب المدارك: ١٠٢/١، الذهبي/ سير أعلام النبلاء/ ٤٨/٨، ابن عبدالبر/ الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء: ٨ - ٦٣، أبو نعيم/ الحلية ٣١٦/٦، ابن حجر/ تهذيب التهذيب: ٥/١، ابن تغري بردي/ النجوم الزاهرة: ٩٦/٢، اليافعي/ مرآة الجنان: ٣٧٣/١: ابن فرحون/ الديباج/١١، ابن كثير/ البداية: ١٧٤/١٠، القسطلاني/ شرح الجامع الصحيح للبخاري: ٦/١ الشيرازي - طبقات الفقهاء ص٤٢، الزركلي/ الأعلام: ١٢٨/٦، معجم المؤلفين: ١٦٨/٨.

الامام الشافعي

عالم العصر، فقيه الملة(١)، نسيب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وناصر سنته(٢). وأحد مجددي المائة الثانية(٣)، الإمام العلم حبر الأمة: أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بنِ المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب القرشي المطلبي الشافعي.. صنَّف التصانيف، ودوَّن العلم، ونشر السنة، وصنف في أصول الفقه وفروعه، وبعد صيته وتكاثر عليه الطلبة وساد أهل زمانه، وفضائله كثيرة، وصنف في سيرته ومناقبه مصنفات.

قال السبكي: وأول من بلغني صنف في مناقب الشافعي الإمام داود بن علي الأصفهاني إمام أهل الظاهر، له مصنفات في ذلك، ثم صنف زكريا بن يحيى الساجي وعبدالرحمن بن أبي حاتم ثم صنف أبو الحسن محمد بن الحسين بن إبراهيم الآبري، كتابًا حافلاً رتبه على أربعة وسبعين بابًا، ثم ألف الحاكم أبو عبدالله ابن البيع الحافظ مصنفًا جامعًا وصنف في عصره أيضًا أبو علي الحسن بن الحسين بن حمكاف الأصبهاني مختصرًا في هذا النوع ثم صنف أبو عبدالله بن أبي شاكر القطان مختصره المشهور، ثم صنف الإمام الزاهد إسماعيل بن محمد السرخسي الغرات مجموعًا حافلاً رتبه على مائة وستة عشر بابًا، ثم صنف الأستاذ الجليل أبو منصور عبدالقاهر بن طاهر البغدادي كتابين أحدهما كبير حافل يختص بالمناقب والآخر مختصر محقق يختص بالرد على الجرجاني الحنفي الذي تعرض لجناب هذا الإمام،

(١) الذهبي/ سير أعلام النبلاء: ١٠/٥ـ٦.
(٢) الذهبي/ تذكرة الحفاظ: ١/٣٦١.
(٣) انظر سير أعلام النبلاء ١٠/٤٦، عون المعبود ١١/٣٨٧، فيض القدير ٢/٢٨٢.

ثم صنف الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي كتابه في المناقب المشهور الحسن الجامع المحقق، وكتبًا آخر في نحو هذا النوع مثل بيان خطأ من خطّأ الشافعي وغيره، ثم صنف الحافظ الكبير أبو بكر الخطيب مجموعًا في المناقب ومختصرًا في الاحتجاج بالشافعي، ثم صنف الإمام فخر الدين الرازي كتابه المشهور المرتب على أبواب وتقاسيم وصنف الحافظ أبو عبيد محمد بن محمد بن أبي زيد الأصبهاني المعروف بابن المقري كتابين أحدهما سماه شفاء الصدور في محاسن صدر الصدور، والآخر مجلد كبير وهو مختصر من شفاء الصدور سماه الكتاب الذي أعده شافعي في مناقب الإمام الشافعي، وصنف الحافظ أبو الحسن بن أبي القاسم البيهقي المعروف بفندق كتابًا كبيرًا في المناقب(١)، وألف بعض المعاصرين في سيرته كتبًا مفردة كمحمد بن أبي زهرة في كتابه: «**الشافعي: حياته، عصره**» ومصطفى منير أدهم في كتابه: «**رحلة الإمام الشافعي**» وغيرهما(٢)، وكتب عنه في عدد من الدوريات(٣).

---

(١) طبقات الشافعية: ١/١٨٥.

(٢) الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد ٢/٥٦ ـ ٧٣، ابن النديم / الفهرست: ١/٢٠٩ ـ ٢١٠، وفيات الأعيان: ١/٥٦٥ ـ ٥٦٨، النووي/ تهذيب الأسماء واللغات: ١/٤٤ ـ ٦٧، ياقوت/ معجم الأدباء: ١٧/٢٨١ ـ ٣٢٧، ابن عبدالبر/ الانتقاء: ٦٥ ـ ١٢١، أبو نعيم/ الحلية: ٩/٦٣ ـ ١٦١، ابن تغري بردي/النجوم الزاهرة: ٢/١٧٦ ـ ١٧٧، ابن الأثير/ اللباب: ٢/٥، ابن حجر العسقلاني/ تهذيب التهذيب: ٩/٢٥ ـ ٣١، ابن الأثير/ الكامل في التاريخ: ٦/١٢٢، ابن كثير/ البداية: ١٠/٢٥١ ـ ٢٥٤، فخر الدين الرازي/ مناقب الإمام الشافعي، الفراء/ طبقات الحنابلة: ٢٠٤ ـ ٢٠٦، الذهبي/ تذكرة الحفاظ: ١/٣٢٩ ـ ٣٣٠، عبدالرحمن الرازي/آداب الشافعي ومناقبه: ابن العماد/ شذرات الذهب: ٢/٩ ـ ١١، ابن فرحون/ الديباج: ٢٢٧ ـ ٢٣٠، الصفدي/ الوافي: ٢/١٧١ ـ ١٨١، الزركلي: الأعلام: ٦/٢٤٩ ـ ٢٥٠.

(٣) ينظر معجم المؤلفين ٩/٣٢.

الامام أحمد : [١٦٤-٢٤١هـ]

شيخ الإسلام وسيد المسلمين في عصره الحافظ الحجة، جبل الدنيا في العلم والعمل والصبر والثبات، الناصر للسنة والصابر على المحنة، الإمام أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني الذهلي المروزي، **الذي قال فيه علي بن المديني**:

«إن الله أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة وبأحمد بن حنبل يوم المحنة». **وقال فيه الإمام الشافعي**: «خرجت من بغداد وما خلفت فيها أفقه ولا أورع ولا أزهد ولا أعلم من أحمد». وقد ألف في سيرته مؤلفات مستقلة، فقد أفرد البيهقي سيرته في مجلد وكذا ابن الجوزي وشيخ الإسلام الأنصاري، ومن المعاصرين الذين كتبوا عن الإمام مصنفات مفردة: أبو زهرة في كتابه: «**ابن حنبل حياته وعصره**» وأحمد عبدالجواد الدومي في كتابه، «**أحمد بن حنبل بين محنة الدين والدنيا**»، ومحمد رجب البيومي في كتابه: «ابن حنبل» ومحمد البهي الخولي في كتابه: «**الإمام الممتحن**» وغيرهم[١]، وكتب عنه طائفة من المعاصرين في عدد من الدوريات[٢].

---

(١) انظر في ترجمته: الخطيب البغدادي/ تاريخ بغداد: ٤١٢/٤، ابن خلكان وفيات الأعيان: ٦٣/١ أبو يعلى/ طبقات الحنابلة: ١١/٣، أبو نعيم/الحلية: ١٦١/٩، الذهبي/ تذكرة الحفاظ: ١٧/٢ النووي/ تهذيب الأسماء واللغات: ١١٠/١، ابن حجر/ تهذيب التهذيب: ٧٢/١، ابن كثير/ البداية ٣٢٥/١٠ ابن العماد/ شذرات الذهب: ٩٦/٢، اليافعي/ مرآة الجنان: ١٣٢/٢.

(٢) محمد النواوي / مجلة الأزهر س ٢٥ ، ع ٣ ، ٢٥ : ٨٢ - ٨٥، ٣٢٣ ، ٣٢٩ ٢٧ : ٨١٥ - ، محمود اللبابيدي : الكتاب : ٦٥٢/٩ - ٦٥٦، أحمد أمين/ الثقافة: ع/٦٣٩ : ٦ ، عبدالحميد عبادة/ لغة العرب: ٧: ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، محمد أبو شهبة/ الحج س٤ ع٩ =

وكتب عنه بعض المستشرقين[1].

= ص٢٠ - ٢٥، ع١٠ ص١٩ - ٢٤، س٧: ٧٩ - ٨١.

(١) انظر: ولتر سلفل باتون/ «أحمد بن حنبل والمحنة»، ترجمة عبدالعزيز عبدالحق.

الفصـل الثالث :

وحـدة الاعتقاد عند الأئمـة :

ـ أصول الأئمة الأربعة واحدة.
ـ أصول سائر الأئمة وسلف الأمة واحدة.
ـ أصول الرسل واحدة.
ـ أصول (مصادر) التلقي واحدة.
ـ أوهام ومكايد في هذا الباب.

وحدة الاعتقاد عند الأئمة الأربعة:

إن من ضروريات الدين . . العلم بأن الاعتقاد لا يؤخذ إلا عن الله ورسوله، ولذا كانت طريقة أهل السنة أن لا يعدلوا عن النص الصحيح ولا يعارضوه بمعقول ولا قول فلان، كما قال البخاري ـ رحمه الله : «سمعت الحميدي يقول: كنا عند الشافعي رحمه الله، فأتاه رجل فسأله عن مسألة فقال: قضىٰ فيها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كذا وكذا، فقال الرجل للشافعي: ما تقول أنت؟ فقال: سبحان الله! تراني في كنيسة؟! تراني في بيعة؟![1] تراني على وسطي زنار؟![2] أقول لك قضىٰ رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأنت تقول ما تقول أنت؟!»[3].

ونظائر ذلك في كلام السلف كثير، لأن هذا مقتضى عبادة الله وحده، قال تعالى: ﴿**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضىٰ الله ورسوله أمرًا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**﴾[سورة الأحزاب، الآية: ٣٦]، قال الإمام الشافعي: «أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم،

(١، ٢) البيعة: بالكسر معبد اليهود، وقيل كنيسة النصارى [انظر: اللسان مادة بيع] والزُّنّار، والزنارة: ما على وسط المجوسي والنصراني، أو مايلبسه الذمي ويشده على وسطه [انظر اللسان مادة زنر].

ومراد الإمام رحمه الله الإنكار على الرجل سؤاله لأنه في دين الإسلام ليس بعد قول الله وقول رسوله قول لقائل ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا**﴾.

﴿**ياأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدي الله ورسوله**﴾.

أما اليهود والنصارى فقد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث يحلون لهم ماحرم الله فيتبعونهم ويحلون ماحرم الله فيتبعونهم كما قال تعالى: ﴿**اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله**﴾.

(٣) شرح الطحاوية: ٣٣٦، وينظر: حلية الأولياء: ٩/١٠٦، ومناقب البيهقي: ١/٤٧٤، سير أعلام النبلاء: ١٠/٣٤، توالي التأسيس: ٦٣، معنى قول الإمام/٩٨[ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ج/٢].

لم يكن له أن يدعها لقول أحد»[١].

من هنا كان معتقد الأئمة واحد، لأن مصدرهم في التلقي واحد. ووحدة اعتقادهم مسألة مقررة معلومة لدى أهل العلم ولذا قال السبكي: «وهذه المذاهب الأربعة ولله الحمد في العقائد واحدة إلا من لحق منهم بأهل الاعتزال والتجسيم وإلا فجمهورها على الحق يقرون عقيدة أبي جعفر الطحاوي التي تلقاها العلماء سلفًا وخلفًا بالقبول»[٢].

وحدة الاعتقاد عند سائر الأئمة وسلف الأمة:

وليس الأئمة الأربعة وحدهم في الاتحاد في الاعتقاد، بل جميع الأئمة وسلف الأمة كانوا على القول الحق الواحد في هذا الباب لأن المذهب هو مذهب الصحابة الذي تلقوه عن نبيهم، و «الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كانوا في زمن النبي، صلى الله عليه وسلم على عقيدة واحدة لأنهم أدركوا زمن الوحي وشرف الصحبة»[٣] وشربوا الاعتقاد من المنبع الواحد منبع الوحي، ولم يكدروا صفوه بموارد أخرى، ولذا فهم «بحمد الله لم يتنازعوا في مسألة واحدة من مسائل الأسماء والصفات والأفعال، بل كلهم على إثبات ما نطق به الكتاب والسنة كلمة واحدة من أولهم إلى آخرهم..»[٤]، واتبعهم في ذلك بقية سلف الأمة وأئمتها بإحسان.

إذن ما دام الأمر كذلك، لماذا البحث في أمر معلوم، وقضية متفق عليها.

---

(١) أعلام الموقعين: ٢/٢٨٢، الإيقاظ/٨٣، فتح المجيد/٥٥٥ ـ وهذا المعنى قرره الإمام في الرسالة بأكثر من لفظ في مواضع متعددة.
انظر الرسالة: ٥٣٩ ـ ٥٤١، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٦٧.

(٢) معيد النعم / ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) مفتاح السعادة: ٢/١٤٣.

(٤) أعلام الموقعين: ١/٤٩.

وأقول إنه قد ظهر غبش في رؤية هذه الحقيقة لدى جملة من الناس، وبلغ الأمر أن ظن بعضهم أن تعدد المذاهب الفقهية هو أيضًا تعدد في الاتجاهات العقدية[١]، حتى سئل بعض الأئمة في القرن السابع - فكيف الحال اليوم؟ - عن رجلين اختلفا في الاعتقاد - إلى أن قال السائل - فبينوا لنا ما نتبع من عقيدة الشافعي رضي الله عنه وما الصواب في ذلك؟ فأجاب الإمام - رحمه الله -: «اعتقاد الشافعي رضي الله عنه واعتقاد سلف الإسلام كمالك والثوري والأوزاعي وابن المبارك وأحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، وهو اعتقاد المشايخ المقتدى بهم كالفضيل بن عياض وأبي سليمان الداراني وسهل بن عبدالله التستري وغيرهم، فإنه ليس بين هؤلاء الأئمة وأمثالهم نزاع في أصول الدين.

وكذلك أبو حنيفة - رحمه الله - فإن الاعتقاد الثابت عنه في التوحيد والقدر ونحو ذلك موافق لاعتقاد هؤلاء، واعتقاد هؤلاء هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان، وهو ما نطق به الكتاب والسنة[٢].

ذلك أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عند الأمة قبولاً تامًا يتعمد مخالفة الرسول، صلى الله عليه وسلم، في شيء من سنته دقيق ولا جليل، فإنهم متفقون اتفاقًا يقينيًا على وجوب اتباع الرسول، صلى الله عليه وسلم، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله، صلى الله عليه وسلم[٣].

ولذا استفاض النقل عن الأئمة بأن لا يؤخذ من قولهم إلا ما وافق

---

(١) وسيأتي الحديث عن ذلك بتفصيل في مبحث أخطاء يجب أن تصحح كما ظهر أيضًا كيد باطني خطير في هذه المسألة متعدد الوجوه والوسائل سنبينه فيما بعد بعون الله عز وجل في مبحث «كيد وتآمر».

(٢) الفتاوى ٥/٢٥٦.

(٣) رفع الملام/ ١٠.

الكتاب والسنة وأن الأصل قول الله ورسوله.

قال الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «إنما أنا بشر أخطىء وأصيب، فانظروا في رأيي فكل ما وافق الكتاب والسنة فخذوا به وما لم يوافقهما فاتركوه»[١]، **وتواتر عن الإمام الشافعي أنه قال**: «إذا صح الحديث فاضربوا بقولي الحائط»[٢]، وجاء هذا المعنى عن الباقين.

ولذلك قرر أهل العلم بأنه إذا جاء عن بعض الأئمة قول قد جاء حديث صحيح بخلافه فلابد من عذر في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

ـ **أحدها**: عدم اعتقاده أن النبي، صلى الله عليه وسلم قاله.

ـ **والثاني**: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك.

ـ **والثالث**: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ.

وهذه الأصناف الثلاثة تتفرع إلى أسباب متعددة[٣].

فسلك الأئمة طريق الاتباع لا الابتداع، وكان متبوعهم وقدوتهم وأسوتهم رسول الهدى، صلى الله عليه وسلم، ذلك أنه لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بأمرين: بتوحيد المرسل[٤]، وتوحيد متابعة الرسول، فلا يحاكم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يعظمه، فإن أذنوا له نفذه وقبل خبره وإلا فإن طلب السلامة فوضه إليهم وأعرض عن

---

(١) معنى قول الإمام / ١٠٥.

(٢) إعلام الموقعين: ٢/ ٢٨٢.

(٣) ينظر للتفصيل رفع الملام / ص ١٠ ومابعدها.

(٤) المرسل ليس من أسماء الله عز وجل ولكن جاء هنا على سبيل الإخبار والأئمة يفرقون في هذا الباب بين مقام الإخبار ومقام التسمية والدعاء كما هو معلوم انظر تفصيل ذلك في بدائع الفوائد لابن القيم.

أمره وخبره، وإلا حرفه عن مواضعه وسمى تحريفه تأويلاً ليقبل.. فلأن يلقى العبد ربه بكل ذنب ـ ماخلا الاشراك بالله ـ خير له من أن يلقاه بهذه الحال، بل إذا بلغه الحديث الصحيح يعد نفسه كأنه سمعه من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيبادر بالامتثال ولا يستشكل قوله لمخالفته رأي فلان، بل تستشكل الآراء لقوله، ولا يعارض نصه بقياس، بل تهدر الأقيسة وتلغى لنصوصه، ولا يحرف كلامه عن حقيقته لخيال يسميه أصحابه معقولاً، نعم هو مجهول وعن الصواب معزول، ولا يوقف قبول قوله على موافقة فلان دون فلان كائنًا من كان.

فالواجب كمال التسليم للرسول، صلى الله عليه وسلم[1] بتصديقه فيما أخبر وطاعته فيما أمر، وامتثال ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع وهذا مقتضى شهادة أن محمدًا رسول الله، كما أن (توحيد المرسل) توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله. وهـذه السمة في الاقتداء والاتباع والتسليم هي حال أئمة الإسلام المقتدى بهم فقد «كان من أعظم ما أنعم الله به عليهم إعتصامهم بالكتاب والسنة فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القرآن، لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه ولا وجده، فإنه ثبت عنهم بالبراهين القطعيات والآيات البينات أن الرسول جاء بالهدىٰ ودين الحق وأن القرآن يهدي للتي هي أقوم»[2].

وهـذه المسألة من أصول الأئمة ومن سماتهم، وبها نالوا الإمامة في الدين حيث ترسموا خطى سيد المرسلين، ولذا كان أول باب عقده الإمام اللالكائي وافتتح به سفره القيم **[شرح أصول اعتقاد أهـل السنة]** كان

---

(١) انظر شرح الطحاوية ١/٢٢٨ ـ ٢٢٩.

(٢) الفتاوى: ١٣/٢٨.

عنوانه باب «سياق من ترسم بالإمامة في السنة والدعوة والهداية إلى طريق الاستقامة بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، إمام الأئمة» فذكر جمعًا كبيرًا من أئمة الإسلام من الصحابة ومن بعدهم في أمصار المسلمين في أزمان متعاقبة، كلهم كانوا على الحق متفقين وللحق متبعين وبالحق مجتمعين وبذلك نالوا الإمامة في الدين.

ولكن إذا كان مذهب الأئمة وسلف الأمة في باب الاعتقاد واحد وهو ما تلقوه عن الله ورسوله فلماذا اشتهرت نسبة المذهب ـ أحيانا ـ لبعض الأئمة؟ هذا ما يتبين جوابه في البحث التالي:

وجه نسبة المذهب لبعض الأئمة:

يشتهر بعض الأئمة بالإمامة في السنة (العقيدة) أكثر من غيره وذلك لاستفحال بدعة ونشاط مبتدعة في زمنه فيواجه الإمام باطلهم بالحق فيعلوا شأن الإمام ويظهر أمره وينتشر ذكره لإحيائه للسنة وإماتته للبدعة ومناهضته للمبتدعة وابتلائه في ذلك وامتحانه كما جرى للإمام أحمد ـ رحمه الله ـ، قال السفاريني: «فإن قلت إذا كان مذهب السلف هو ما عليه الأئمة جميعًا تبعًا للتابعين والصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين وهو الذي كان عليه سيد المرسلين وخاتم النبيين، فكيف ينسب هذا المذهب للإمام أحمد دون من تقدمه من الأئمة. ثم أجاب بأن الفتنة التي عصفت بالأمة في المائة الثالثة حين راجت بدعة الاعتزال بتأييد من أئمة الجور قد تصدىٰ لها الإمام وجرى له من المحنة ماهو معلوم فثبته الله حتى رد باطلهم وانتصر لما كان عليه السلف ولذا صار هو علم الأمة وإمامها حتى أن أبا الحسن الأشعري ـ رحمه الله ـ انتسب إلى الامام أحمد ورأى اتباعه على عقيدته هو المنهج الأحمد[1]، وقال ـ أعني الأشعري ـ رحمه الله ـ قولنا الذي تقول به وديانتنا

(١) انظر لوامع الأنوار: ١/ ٦٥ ـ ٦٧.

التي ندين بها التمسك بكتاب ربنا ـ عز وجل ـ وبسنة نبينا، صلى الله عليه وسلم، وما روي عن الصحابة والتابعين وأئمة الحديث ونحن بذلك معتصمون، وبما كان يقول به أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل نضّر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون، لأنه الإمام الفاضل والرئيس الكامل الذي أبان به الحق ورفع به الضلال وأوضح به المنهاج وقمع به بدع المبتدعين وزيغ السائغين وشك الشاكّين فرحمة الله عليه من أمام مقدم»(١).

فنسب الإمام الأشعري المذهب لأحمد لاشتهاره بذلك، مع أن سائر أئمة الدين سلكوا تلك المسالك، فهم كلهم من أئمة السنة ومن سيلحق بهم من الأئمة وأتباعهم إلى يوم الدين، ولهذا لما قيل لشيخ الإسلام ابن تيمية «**أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد**». أجاب شيخ الإسلام بقوله: «ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للإمام أحمد اختصاص بهذا، والإمام أحمد إنما هو مبلغ العلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وسلم، ولو قال أحمد من تلقاء نفسه مالم يجيء به الرسول لم نقبله وهذه عقيدة محمد، صلى الله عليه وسلم(٢). ولكن الإمام أحمد لما انتهى إليه من السنة ونصوص رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أكثر مما إنتهىٰ إلى غيره، وابتلي بالمحنة والرد على أهل البدع أكثر من غيره، كان كلامه وعلمه في هذا الباب أكثر من غيره، فصار إمامًا في السنة أظهر من غيره، وإلا فالأمر كما قاله بعض شيوخ المغاربة ـ العلماء الصلحاء ـ قال: المذهب لمالك والشافعي، والظهور لأحمد بن حنبل، يعني أن الذي كان عليه أحمد عليه

---

(١) الإبانة / ١٥.
(٢) الفتاوى ٣/١٦٩.

جميع أئمة الإسلام وإن كان لبعضهم من زيادة العلم والبيان وإظهار الحق ودفع الباطل ماليس لبعض»

وجه تخصيص الأئمة الأربعة:-

لماذا يخص الأئمة الأربعة بالذكر مادام السلف وسائر الأئمة ومن تبعهم يشاركونهم في ذلك.

إن **تخصيصهم بالذكر** وإفرادهم ببيان وحدة إعتقادهم إنما هو لعظيم شأنهم وعلو مقامهم ورفعة مراتبهم وعظيم جهادهم وسابقتهم وقرب عصرهم من عصر الصحابة والتابعين ولأنهم هم المقتدى بهم والمرجوع إلى مذهبهم في العالم الإسلامي. **ولأن في بيان وحدة معتقدهم**، وإيضاح مجمل اعتقادهم وموافقته للسنة والمأثور عن سلف الأمة: إقامة للحجة على كل من يتبع مذاهب هؤلاء وهو على غير طريقتهم، **وأمر ثالث** وهو أن بيان معتقد هؤلاء الأئمة الأعلام من مصادرها المعتبرة هو تزييف وإبطال للآراء المنسوبة للإمام وهو منها بريء. وقد كتب شيخ الحرمين أبو الحسن محمد بن عبدالملك الكرجي[1] كتابًا في هذا الشأن سماه **(الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزامًا لذوي البدع والفضول)** وكان من أئمة الشافعية، وذكر في كتابه هذا كلام الشافعي ومالك والثوري وأحمد بن حنبل والبخاري صاحب الصحيح، وسفيان بن عيينة وعبدالله بن المبارك، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهوية، في أصول السنة ما يعرف به إعتقادهم، وذكر في تراجمهم ما فيه تنبيه على مراتبهم ومكانتهم في الإسلام، وذكر فيه هذا المعنى **فقال**:

(١) قال ابن كثير «كان فقيها مفتيا سمع الكثير في بلاد شتى وله مصنفات كثيرة توفى وقد قارب التسعين عام ٥٣٢هـ انظر ترجمته في البداية: ٢١٣/١٢، المنتظم ٧٥/١٠، ٧٦، طبقات الشافعية للسبكي: ٨١ - ٨٦.

«إنه اقتصر في النقل عنهم ـ دون غيرهم ـ لأنهم هم المقتدىٰ بهم والمرجوع شرقًا وغربًا إلى مذهبهم، ولأنهم أجمع لشرائط القدوة والإمامة من غيرهم وأكثر لتحصيل أسبابها وأدواتها من جودة الحفظ والبصيرة والفطنة والمعرفة بالكتاب والسنة، والإجماع والسند، والرجال، والأحوال، ولغات العرب، ومواضعها والتاريخ، والناسخ، والمنسوخ، والمنقول والمعقول والصحيح والمدخول في الصدق، والصلابة وظهور الأمانة والديانة ممن سواهم». قال: «وإن قصر واحد منهم في سبب منها جبر تقصيره قرب عصره من الصحابة والتابعين لهم بإحسان، باينوا هؤلاء بهذا المعنى من سواهم فإن غيرهم من الأئمة ـ وإن كانوا في منصب الإمامة ـ لكن أخلوا ببعض ما أشرت إليه مجملاً من شرائطها، إذ ليس هذا موضعًا لبيانها».

قال: «ووجه ثالث لابد أن نبين فيه، فنقول أن في النقل عن هؤلاء إلزامًا للحجة على كل من ينتحل مذهب إمام يخالفه في العقيدة فإن أحدهما لا محالة يضلل صاحبه أو يبدعه أو يكفره، فانتحال مذهبه ـ مع مخالفته له في العقيدة ـ مستنكر والله شرعًا وطبعًا، فمن قال: أنا شافعي الشرع، أشعري الاعتقاد، قلنا له: هذا من الأضداد، لا بل من الارتداد، إذ لم يكن الشافعي أشعري الاعتقاد. ومن قال: أنا حنبلي في الفروع، معتزلى في الأصول، قلنا: قد ضللت إذا عن سواء السبيل فيما تزعمه، إذ لم يكن أحمد معتزلى الدين والاجتهاد».

قال: «وقد افتتن أيضًا خلق من المالكية بمذاهب الأشعرية، وهذه والله سبة وعار، وفلتة تعود بالوبال والنكال وسوء الدار، على منتحل مذاهب هؤلاء الأئمة الكبار، فإن مذهبهم ما رويناه: من تكفيرهم: الجهمية، والمعتزلة والقدرية والواقفية، وتكفيرهم اللفظية».

وبسط الكلام في مسألة اللفظ، إلى أن قال: «فأما غير ما ذكرناه من

الأئمة: فلم ينتحل أحد مذهبهم، فلذلك لم نتعرض للنقل عنهم».

قال: «فإن قيل: فهلا اقتصرتم إذًا على النقل عمن شاع مذهبه وانتحل اختياره من أصحاب الحديث، وهم الأئمة: الشافعي، ومالك، والثوري، وأحمد، إذ لا نرى أحدًا ينتحل مذهب الأوزاعي والليث وسائرهم؟

قلنا: لأن من ذكرناه من الأئمة ـ سوى هؤلاء ـ أرباب المذاهب في الجملة، إذ كانوا قدوة في عصرهم، ثم اندرجت مذاهبهم الآخرة تحت مذاهب الأئمة المعتبرة. وذلك أن ابن عيينة كان قدوة، ولكن لم يصنف في الذي كان يختاره من الأحكام، وإنما صنف أصحابه، وهم الشافعي، وأحمد وإسحق، فاندرج مذهبه تحت مذاهبهم.

وأما الليث بن سعد فلم يقم أصحابه بمذهبه، **قال الشافعي:** «لم يرزق الأصحاب» إلا أن قوله يوافق قول مالك أو قول الثوري لا يخطئهما؛ فاندرج مذهبه تحت مذهبهما.

وأما الأوزاعي فلا نرى له في أعم المسائل قولاً إلا ويوافق قول مالك، أو قول الثوري أو قول الشافعي: فاندرج اختياره أيضًا تحت اختيار هؤلاء. وكذلك اختيار إسحق يندرج تحت مذهب أحمد لتوافقهما.

قال: «فإن قيل: فمن أين وقعت على هذا التفصيل والبيان في إندراج مذاهب هؤلاء تحت مذاهب الأئمة؟ قلت: من التعليقة للشيخ أبي حامد الإسفرائيني، التي هي ديوان الشرائع، وأم البدائع: في بيان الأحكام، ومذاهب العلماء الأعلام، وأصول الحجج العظام؛ في المختلف والمؤتلف.

قال: «وأما اختيار أبي زرعة، وأبي حاتم في الصلاة والأحكام ـ مما قرأته وسمعته من مجموعيهما ـ فهو موافق لقول أحمد ومندرج تحته وذلك مشهور. وأما البخاري فلم أر له اختيارًا، ولكن سمعت محمد بن طاهر

الحافظ يقول: استنبط البخاري في الاختيارات مسائل موافقة لمذهب أحمد وإسحاق.

فلهذه المعاني نقلنا عن الجماعة الذين سميناهم، دون غيرهم، إذ هم أرباب المذاهب في الجملة، ولهم أهلية الاقتداء بهم لحيازتهم شرائط الامامة، وليس من سواهم في درجتهم، وإن كانوا أئمة كبراء قد ساروا بسيرهم.

ثم ذكر بعد ذلك (الفصل الثاني عشر): في ذكر خلاصة تحوى مناصيص الأئمة بعد أن أفرد لكل منهم فصلاً ـ قال: «لما تتبعت أصول ما صح لي روايته، فعثرت فيها بما قد ذكرت من عقائد الأئمة، فرتبتها عند ذلك على ترتيب الفصول التي أثبتها، وافتتحت كل «فصل» بنيف من المحامد، يكون لإمامتهم إحدى الشواهد، داعية إلى اتباعهم، ووجوب وفاقهم، وتحريم خلافهم وشقاقهم، فإن اتباع من ذكرناه من الأئمة في الأصول في زماننا بمنزلة اتباع الاجماع الذي يبلغنا عن الصحابة والتابعين، إذ لا يسع مسلما خلافه، ولا يعذر فيه، فإن الحق لا يخرج عنهم، لأنهم الأدلاء، وأرباب مذاهب هذه الأمة، والصدور والسادة، والعلماء القادة، أولوا الدين والديانة، والصدق والأمانة، والعلم الوافر، والاجتهاد الظاهر ولهذا المعنى اقتدوا بهم في الفروع، فجعلوهم فيها وسائل بينهم وبين الله، حتى صاروا أرباب المذاهب في المشارق والمغارب، فليرضوا كذلك بهم في الأصول فيما بينهم وبين ربهم وبما نصوا عليه ودعوا إليه».

قال: «فإنا نعلم قطعًا أنهم أعرف قطعًا بما صح من معتقد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه من بعده، لجودة معارفهم وحيازتهم شرائط الأمامة، ولقرب عصرهم من الرسول، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، كما بيناه في أول الكتاب» قال: «ثم أردت ـ ووافق مرادي سؤال

بعض الإخوان - أن أذكر خلاصة مناصيصهم متضمنة بعض ألفاظهم فإنها أقرب إلى الحفظ وهي اللباب لما ينطوي عليه الكتاب، فاستعنت بمن عليه التكلان، وقلت: إن الذي آثرناه من مناصيصهم يجمعه فصلان:

أحدهما: في بيان السنة وفضلها.

والثاني: في هجران البدعة وأهلها.

أما الفصل الأول: فاعلم أن «السنة» طريقة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والتسنن بسلوكها وإصابتها، وهي «أقسام ثلاثة»: أقوال، وأعمال، وعقائد. **فالأقوال**: نحو الأذكار والتسبيحات المأثورة. **والأفعال**: مثل سنن الصلاة والصيام والصدقات المذكورة، ونحو السير المرضية، والآداب المحكية، فهذان القسمان في عداد التأكيد والاستحباب، واكتساب الأجر والثواب. **والقسم الثالث**: سنة العقائد، وهي من الإيمان إحدى القواعد».

قال: «وها أنا ذا أذكر بعون الله خلاصة ما نقلته عنهم مفرقا، وأضيف اليه ما دون في كتب الأصول مما لم يبلغني عنهم مطلقًا، وأرتبها مرشحة، وببعض مناصيصهم موشحة، بأوجز لفظ على قدر وسعي، ليسهل حفظه على من يريد أن يعي، فأقول:

ليعلم المستن أن سنة العقائد على «ثلاثة أضرب»: ضرب يتعلق بأسماء الله، وذاته، وصفاته. وضرب يتعلق برسول الله، صلى الله عليه وسلم، وصحبه ومعجزاته، وضرب يتعلق بأهل الإسلام في أولاهم وأخراهم.

ثم شرح هذه «الأضرب الثلاثة(١)».

---

(١) هذاالعرض الموجز لكتاب الكرجي حفظه لنا شيخ الإسلام ابن تيمية [انظر الفتاوى: ج٤ ١٧٥ - ١٨٠] أما أصل الكتاب فلم أقف عليه وسألت عنه شيخنا حماد الأنصاري فقال: إنه مفقود...

أصول الدين عند الرسل واحدة:

تجلى لنا أن أصول الدين عند الأئمة الأربعة واحدة بل أن أصول الدين عند جميع الأئمة وسلف الأمة متفقه لأنهم أخذوا من مشكاة واحدة ومورد واحد وهو رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وما جاء به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في هذا الباب هو ما جاء به إخوانه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام: فإن دين الأنبياء عليهم السلام واحد ـ وإن تنوعت شرائعهم ـ كما في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد**»(١). قال النووي: «**قال جمهور العلماء**: أصل إيمانهم واحد وشرائعهم مختلفة فإنهم متفقون في أصول التوحيد، وأما فروع الشرائع فوقع فيها اختلاف»(٢) وقال ابن حجر: «معنى الحديث أن أصل دينهم واحد وإن اختلفت فروع الشرائع»(٣) وهذا صريح قوله تعالى: ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾[سورة الأنبياء، الآية: ٢٥].

وقوله جل شأنه: ﴿**ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت**﴾ [سورة النحل، الآية: ٣٦]. ولهذا قال سبحانه: ﴿**شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه**﴾ [سورة الشورى، الآية: ١٣].

فدين الإسلام الذي شرع الله لأمة محمد، صلى الله عليه وسلم، هو دين الأنبياء كلهم(٤) ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١٩]

---

(١) ينظر البخاري ٢٠٣/٤، مسلم: رقم (٢٣٦٥)، أحمد: ٤٠٦/٢ وغيرهم.

(٢) شرح صحيح مسلم: ١٢٠/١٥.

(٣) فتح الباري: ٤٨٩/٦.

(٤) إنما خص نوحًا وإبراهيم موسى وعيسى بالذكر لأنهم أرباب الشرائع وأولي العزم من مشاهير=

فقد شرع الله لأمة محمد، صلى الله عليه وسلم ـ من الدين ما شرع لقوم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ثم بين ذلك بقوله تعالى: ﴿**أن أقيموا الدين**﴾ وهو توحيد الله وطاعته والإيمان برسله وكتبه وبيوم الجزاء وبسائر ما يكون الرجل بإقامته مسلمًا ولم يرد الشرائع التي هي مصالح الأمم على حسن أحوالها، فإنها مختلفة متفاوتة كما قال تعالى: ﴿**لكلٍ جعلنا منكم شرعة ومنهاجًا**﴾(1)[سورة المائدة، الآية:٤٨].

فالرسل متفقون في الدين الجامع للأصول الاعتقادية والعملية، فالاعتقادية كالإيمان بالله وبرسله وباليوم الآخر والعملية كالأعمال العامة المذكورة في الأنعام والأعراف وسورة بني إسرائيل، كقوله تعالى: ﴿**قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم . .** ﴾[سورة الأنعام الآيات: ١٥١، ١٥٢، ١٥٣] إلى آخر الآيات الثلاث. وقوله: ﴿**وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه . .** ﴾[سورة الإسراء، آية: ٢٣ وما بعدها]. إلى آخر الوصايا.

وقوله: ﴿**قل أمر ربي بالقسط وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين**﴾[سورة الأعراف، آية: ٢٩]، وقوله: ﴿**قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والأثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانًا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ٣٣].

= الأنبياء ولبيان الحق لمن يدعون متابعة بعضهم كاليهود الذين يزعمون اتباع موسى والنصارى الذين يزعمون اتباع عيسى، وإلا فما من نبي إلا وهو مأمور بما أمروا به من إقامة دين الإسلام وهو التوحيد وأصول الإيمان، وكذا الشرائع والأحكام التي لا تختلف باختلاف الأمم والأعصار [انظر، روح المعاني: ٢٥/١٩].

(١) انظر: تفسير القرطبي: ١٦/١٠، فتح القدير للشوكاني: ٤/٥١٥، تفسير ابن كثير: ٤/١١٧، أنوار التنزيل للبيضاوي: ٥/٥٢.

فهذه الأمور هي من الدين الذي اتفقت عليه الشرائع:

كما أن السور المكية على وجه العموم تضمنت الأصول التي إتفقت عليها رسل الله(١).

وهذا الدين الذي اتفق عليه الرسل هو دين الإسلام، قال تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ [سورة آل عمران، آية: ١٩] . ولا يقبل الله من الأولين والآخرين دينًا سواه: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين**﴾ [سورة آل عمران، آية: ٨٥]. وجميع الأنبياء من لدن نوح عليه السلام إلى نبينا محمد، صلى الله عليه وسلم، على دين الإسلام، قال الله تعالى عن نوح: ﴿**واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم**﴾ . . . إلى قوله: ﴿**وأمرت أن أكون من المسلمين**﴾ [سورة يونس، آية: ٧١، ٧٢].

وقال عن إبراهيم: ﴿**ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه**﴾ إلى قوله: ﴿**إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين**﴾ إلى قوله: ﴿**فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون**﴾ [سورة البقرة، الآيات: ١٣٠، ١٣١، ١٣٢].

وقال عن موسى: ﴿**وقال موسى ياقوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين**﴾ [سورة يونس، آية: ٨٤]. وقال في خبر المسيح: ﴿**وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون**﴾ [سورة المائدة، آية: ١١١].

وقال فيمن تقدم من الأنبياء: ﴿**يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا**﴾ [سورة المائدة، آية: ٤٤]. وقال عن بلقيس أنها قالت: ﴿**رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين**﴾ [سورة النمل، آية: ٤٤].

---

(١) انظر الفتاوى: ١٥/١٥٩ ـ ١٦٠.

فالإسلام يتضمن الإستسلام لله وحده؛ فمن استسلم له ولغيره كان مشركًا، ومن لم يستسلم له كان مستكبراً عن عبادته، والمشرك به والمستكبر عن عبادته كافر، والاستسلام له وحده يتضمن عبادته وحده، وطاعته وحده.

فهذا دين الإسلام الذي لا يقبل الله غيره؛ وذلك إنما يكون بأن يطاع في كل وقت، بفعل ما أمر به في ذلك الوقت؛ فإذا أمر في أول الأمر باستقبال الصخرة، ثم أمرنا ثانيًا باستقبال الكعبة: كان كل من الفعلين حين أمر به داخلاً في الإسلام.

فالدين هو الطاعة والعبادة له في الفعلين؛ وإنما تنوع بعض صور الفعل وهو وجه المصلى، فكذلك الرسل دينهم واحد وإن تنوعت الشرعة والمنهاج، والوجه والمنسك؛ فإن ذلك لا يمنع أن يكون الدين واحدًا، كما لم يمنع ذلك في شريعة الرسول الواحد.

والله تعالى جعل من دين الرسل: أن أولهم يبشر بآخرهم ويؤمن به، وآخرهم يصدق بأولهم ويؤمن به، قال الله تعالى: ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى؟ قالوا أقررنا قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ [سورة آل عمران، آية: ٨١].

قال ابن عباس: لم يبعث الله نبيًّا إلا أخذ عليه الميثاق، لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه، وقال تعالى: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنًا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ [سورة المائدة، آية: ٤٨].

وجعل الإيمان متلازمًا، وكفر من قال: إنه آمن ببعض وكفر ببعض قال الله تعالى: ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله، ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض، ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا: أولئك هم الكافرون حقًّا﴾ [سورة النساء، آية: ١٥١]، وقال تعالى: ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب﴾ إلى قوله: ﴿تعملون﴾ [سورة البقرة، آية: ٨٥].

وقد قال لنا: ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط، وما أوتي موسى وعيسى، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما هم في شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم﴾ [سورة البقرة، الآيات: ١٣٦، ١٣٧].

فأمرنا أن نقول: آمنا بهذا كله، ونحن له مسلمون، فمن بلغته رسالة محمد، صلى الله عليه وسلم، فلم يقر بما جاء به لم يكن مسلمًا، ولا مؤمنًا؛ بل يكون كافرًا وإن زعم أنه مسلم أو مؤمن.

كما ذكروا(١) أنه لما أنزل الله تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [سورة آل عمران، آية: ٨٥]، قالت اليهود والنصارى: فنحن مسلمون: فأنزل الله: ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ [سورة آل عمران، آية: ٩٧]، فقالوا: لا نحج فقال تعالى: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾ [سورة آل عمران، آية: ٩٧].

فإن الاستسلام لله لا يتم إلا بالإقرار بما له على عباده من حج البيت؛ كما قال، صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله

(١) انظر تفسير الطبري: ٦/ ٥٧٠ - ٥٧١، ٧/ ٥٠ تحقيق أحمد شاكر.

إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت»(١).

ولهذا لما وقف النبي، صلى الله عليه وسلم، بعرفة أنزل الله تعالى: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينًا﴾ [سورة المائدة، آية: ٣].

وقد تنازع الناس فيمن تقدم من أمة موسى وعيسى، هل هم مسلمون أم لا؟ «وهو نزاع لفظى» فإن الإسلام الخاص الذي بعث الله به محمدًا، صلى الله عليه وسلم، المتضمن لشريعة القرآن: ليس عليه إلا أمة محمد، صلى الله عليه وسلم، والإسلام اليوم عند الإطلاق يتناول هذا، وأما الإسلام العام المتناول لكل شريعة بعث الله بها نبيًّا فإنه يتناول إسلام كل أمة متبعة لنبي من الأنبياء.

ورأس الإسلام مطلقًا شهادة أن لا إله إلا الله، وبها بعث جميع الرسل، كما قال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن أعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [سورة النحل، آية: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾ [سورة الأنبياء، آية: ٢٥]، وقال عن الخليل: ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني فإنه سيهدين وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون﴾ [سورة الزخرف، آية: ٢٦]، وقال تعالى عنه: ﴿أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لى إلا رب العالمين﴾ [سورة الشعراء، آية: ٧٥] وقال تعالى: ﴿قد كانت لكم أسوه حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا حتى تؤمنوا بالله﴾[سورة الممتحنة، آية: ٤]،

---

(١) متفق عليه من حديث ابن عمر.

وقال: ﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون﴾[سورة الزخرف: آية: ٤٥].

وذكر عن رسله: كنوح، وهود، وصالح، وغيرهم أنهم قالوا لقومهم: ﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ [سورة الأعراف، الأيات: ٥٩، ٦٥، ٧٣، ٨٥، وسورة هود، آية: ٥٠، ٦١، ٨٤، المؤمنون: آية: ٢٣، النمل: آية ٤٥، العنكبوت، آية: ٣٦]، وقال عن أهل الكهف: ﴿إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا ربنا ربُّ السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلهًا لقد قلنا إذًا شططا﴾ إلى قوله: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا﴾[سورة الكهف، الآيات: ١٣، ١٤، ١٥].

وقد قال سبحانه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [سورة النساء، آية: ٤٨].

أول دعوة الرسل واحدة:

وكما كانت أصول الرسل واحدة، فإن أول دعوتهم ومفتتح رسالتهم، وجوهر بعثتهم واحدة وهي الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، فقد كان كل رسول يبدأ دعوته لقومه بقوله: ﴿اعبدوا الله مالكم من إله غيره﴾ كما أخبر الله سبحانه عن نوح وهود وصالح وشعيب وغيرهم أنهم قالوا لأقوامهم ذلك فكان توحيد الألوهية أو توحيد العبادة أو التوحيد العملي أي الدعوة إلى إفراد الله بالعبادة هي أول دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام[١] كما أنها أول واجب على المكلف وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى.

والدعوة اليوم يجب أن تبدأ وتهتم بما بدأ به الرسل وجعلوه جوهر

---

(١) ينظر شرح الطحاوية ١/ ٢١ تحقيق د. التركي.

دعوتهم وهو الدعوه إلى عبادة الله وحده.

لأن رسل الله هم القدوة والأسوة، وعبادة الله سبحانه هي الغاية التي خلق الله لأجلها الثقلين ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ والملاحظ في منهج الدعوة اليوم أنها فرطت في هذا الأصل العظيم وغفلت عن هذا الأمر الكبير إلا من عصم ربك..

لقد كانت ردة الفعل لسقوط الخلافة سنة ١٩٢٤م قوية وردود الأفعال في الغالب تكون غير متوازنة، وإذا لم يكن لها من كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، هاد تاهت بها السبل ولذا فقد أصبح مبدأ الدعوة وجوهر الرسالة لدى جملة من الحركات الإسلامية هي مسألة الخلافة والإمامة ونسى أصل دعوة الرسل ومبدأ رسالتهم وترتب على ذلك أمور خطيرة منها:

أولا: شيوع الشرك بأنواعه في العالم الإسلامي.

ثانيا: سلوك طريقة المبتدعة.. حيث تجعل الرافضة أصل دينها مسألة الإمامة، وتعد المعتزلة.. «مسألة الخروج» والذي يسمونه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أحد أصولها الخمسة.

ثالثا: ساقوا الشباب المؤمن إلى السجون والمشانق وأتاحوا الفرصة بغير قصد للحكام الظلمة في التسلط على عباد الله المؤمنين.

وأمامنا مثال حي وأنموذج فذ للأخذ بهدي الرسل في الدعوة والاهتمام بأمر توحيد العبادة الذي هو أصل الأصول.. وعظيم أثر هذا المنهج في نجاح الدعوة ونفع المسلمين تلك هي دعوة الإمام المصلح المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب الذي قامت على أمرين:

١ - **الأمر الأول**: والأعظم والأهم وهو تصحيح الاعتقاد عند الناس بالدعوة إلى عبادة الله وحده والتحذير من الشرك.

٢ ـ **الأمر الثاني:** التعاون مع الحاكم المسلم بالمعروف ولهذه المسألة تفصيل وليس هذا موضعه.

وحدة مصادر التلقي عند الأئمة:

إن وحدة المعتقد تقوم على وحدانية المصدر والاتفاق على منبع واحد في التلقي ومنهج واحد في الاستدلال.

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة من السلف والأئمة فقد كانوا على كلمة سواء في هذا الباب حيث مصدر التلقي عندهم واحد وهو القرآن، والسنة، والاجماع. فالقرآن الكريم هو أساس اعتقادهم، وكانوا يفسرون القرآن بالقرآن وإلا فبالسنة وإلا فبالصحيح من أقوال الصحابة وإلا ما أجمع التابعون عليه[١].

والسنة المبينة للقرآن هي الأصل الثاني عندهم ويتمثل وجود السنة في دواوين الإسلام المعروفة والمشهورة مثل صحيحي البخاري ومسلم وكتب السنن كسنن أبي داوود والترمذي والنسائي وابن ماجه وسنن الدارمي وموطأ مالك، ومثل المسانيد المعروفة كمسند الإمام أحمد.. وغيرها.

والإجماع هو الأصل الثالث عندهم في تلقي الاعتقاد والأمة لا تجمع على ضلالة وقد يخطىء بعض الأئمة إذ لا عصمة إلا لرسل الله وكل يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب الوحي، ولكن لا يجمعون على خطأ بحمد الله.

أما القياس والاستحسان والذوق والكشف والنظر والعقل[١]

(١) ابن تيمية / مقدمة التفسير [انظر الفتاوى: ١٣ / ٣٦٣].

(٢) أي أن العقل لا يستقل بمعرفة أصول الدين على سبيل التفصيل أما على سبيل الإجمال فإن عامة أصول الدين الكبار مما يعرف بالعقل كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية «والعقل الصريح أي السالم من الشبهات والشهوات لا يناقض النقل الصحيح بحال»، وهذا أمر معلوم من الإسلام بالضرورة والله سبحانه فطر العباد على معرفته كما بين سبحانه توحيده «بطرق ثلاثة: السمع والبصر والعقل»، شرح الطحاوية ص٣٣، مدارج السالكين: ٣ / ٣٣٥.

فليست مصادرًا لتلقي الاعتقاد والله سبحانه أكمل لنا الدين وأتم علينا النعمة ورضي لنا الإسلام دينًا ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي، ورضيت لكم الإسلام دينًا**﴾.

وتركنا صلوات الله وسلامه عليه على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك ـ كما قال صلى الله عليه وسلم: «**تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**»[١]. قال أبو الدرداء: «**صدق الله ورسوله فقد تركنا على مثل البيضاء**»[٢].

ولذا قال الإمام الشافعي: «فليست تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها»[٣].

يقول ابن حزم: «قد بلّغ الرسول، صلى الله عليه وسلم، الدين كله، وبينه جميعه كما أمره الله تعالى»[٤] قال تعالى: ﴿**يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته**﴾.

وهذا أمر معلوم من الإسلام بالضرورة «فإن هذا الأصل ـ أي بيان الرسول، صلى الله عليه وسلم، للدين أصوله وفروعه باطنه وظاهره علمه وعمله ـ هو أصل أصول العلم والإيمان وكل من كان أعظم اعتصامًا بهذا الأصل كان أولىٰ بالحق علمًا وعملاً»[٥].

---

(١) جزء من حديث رواه ابن ماجه في سننه، المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين (١/١٦) وأحمد في مسنده (٤/١٢٦) والحاكم في مستدركه (١/٩٦) وابن أبي عاصم في كتاب السنة باب ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم: [تركتكم على مثل البيضاء..] (١/٢٦) وروى عدة روايات في هذا المعنى صحح الألباني أكثرها.

(٢) رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة: ١/٢٦.

(٣) الرسالة ص ٢٠.

(٤) المحلي: ١/٢٦.

(٥) معارج الوصول إلى معرفة أن أصول الدين وفروعه قد بينها الرسول، ﷺ، ص/٢ وانظر: موافقة صحيح المنقول لصريح المعقول: ١/١٣.

وحدة الاعتقاد من خصائص أهل السنة:

ووحـدة الاعتقـاد من خصـائص أهل السنة وسبب ذلك اتباعهم للوحي الإلهي الذي لا اختلاف فيه، ولا تناقض لأنه من عند الله ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كثيراً﴾ [سورة النساء، الآية: ٨٢]، ولذا كان أئمـة السنـة على الحق سائـرين وبـالحق قائمـين وعـلى الحق متحـدين، حيث لا يجمعـون على ضلالـة فهم أهل الحق ومن عداهم فأهل البدعة لأنهم الصحابة رضي الله عنهم الذين عاصروا التنزيل وعرفوا التأويل وسلكوا سواء السبيل ومن سلك نهجهم من خيار التابعين ـ رحمة الله عليهم ـ ثم أصحاب الحديث ومن اتبعهم من الفقهاء جيلاً فجيلاً إلى يومنا هذا، ومن اقتدى بهم من العوام في شرق الأرض وغربها ـ رحمة الله عليهم ـ(١). وكما أن الاجتماع والاتفاق من خصائص أهل السنة فإن التنازع والتنابذ والتكفير من سمات المبتـدعـة ولهذا يسمى أهل السنة بالجماعة لأنهم «لا يكفر بعضهم بعضًا وليس بينهم خلاف يوجب التبري والتكفير فهم إذًا أهل الجماعة القائمون بالحق، والله تعالى يحفظ الحق وأهله، فلا يقعون في تنابذ وتناقض وليس فريق من فرق المخالفين إلا وفيهم تكفير بعضهم لبعض وتبري بعضهم من بعض كالخوارج والروافض والقدرية حتى اجتمع سبعة منهم في مجلس واحد فافترقوا من تكفير بعضهم بعضًا(٢)» لأنهم يستقون دينهم في غالب مسائله من غير مصدره المنزل من عند الله بل إنهم لا يعولون على النقل مطلقًا في مقام النظر والاستدلال والاعتقاد، وما كان من عند غير الله فلا يثمر إلا الخلاف والاختلاف، ولذا تجد المبتدعة كما قال الإمام أحمد: «مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله

(١) ينظر الفصل: ٢/١٠٧

(٣) الفرق بين الفرق / ٣٦١.

وفي الله وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضلين»[١].

بقاء عقيدة الأئمة الواحدة إلى أن تقوم الساعة:[٢]

وعقيدة هؤلاء الأئمة التي تلقوها عن نبيهم واجتمعوا عليها باقية محفوظة لأن الله جل شأنه حفظ مصدرها ﴿**إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون**﴾. والقائمون بها المنافحون عنها المبينون لها باقون إلى أن تقوم الساعة لا يفتنون جميعًا ولا يضلون كما لا يفنون كلهم بحرب نووية ولا بكارثة عامة بهذا جاءت البشرى من رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بأنه: «**لا تزال طائفة من هذه الأمة على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى أن تقوم الساعة**»[٣] كما جاءت البشرىٰ عن المصطفى، صلى الله عليه وسلم، بأن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها[٤].

أخطاء يجب أن تصحح:

ظهرت حول وحدة اعتقاد الأئمة أخطاء لابد من تصحيحها، وأوهام لابد من إزالتها، فمن ذلك:

أولا:

لقد توهم بعض الناس أن تعدد المذاهب الفقهية هو تعدد في الاتجاهات العقدية ويبدو أن هذا الوهم قديم، ففي عصر ابن تيمية رفع

(١) الرد على الجهمية ص ٥٢ [ضمن مجموع عقائد السلف].

(٢) الفتاوى: ٣/١٧٠.

(٣) انظر صحيح البخاري (مع الفتح) ١٣/٢٩٣.

(٤) أخرجه أبوداود: ١١/٣٨٥ - ٣٨٦ قال السيوطي. اتفق الحفاظ على تصحيحه منهم الحاكم في المستدرك، والبيهقي في المدخل، وابن حجر وغيرهم [انظر عون المعبود: ١١/٣٩٦].

إليه سؤال يطلب منه صاحبه بيان الاعتقاد في مسألة وفق مذهب الشافعي، فأجابه الشيخ: بأن مذهب الشافعي هو مذهب سائر الأئمة، ومذهب الأئمة هو ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان وهو ما نطق به الكتاب والسنة[١]، وفي مجلس المناظرة المعقودة بشأن الواسطية قال الحاكم الذي يشيد شيخ الإسلام بعدالته والذي يحضر المناظرة، قال: «**أنت صنفت اعتقاد الإمام أحمد، فتقول هذا اعتقاد أحمد**..»[٢].

فأجابه شيخ الإسلام: بأن هذه عقيدة الأئمة وسلف الأمة التي تلقوها عن نبيهم، صلى الله عليه وسلم، فهذه «عقيدة محمد، صلى الله عليه وسلم»[٣].

ولم يقتصر الأمر على مجرد توهم الاختلاف عند بعض العامة، بل تبعه في عصرنا ترويج لهذا المفهوم وإشاعة له، وبلغ الأمر أن أقيمت مراكز، وصنفت كتب، وصدرت مقالات في دوريات تتبنىٰ هذه المفاهيم الخاطئة فمثلاً قامت **(دار التقريب)**[٤] في مصر وكان شعارها ومنهجها التقريب بين المذاهب الستة أي التقريب بين المذهب الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي والزيدي والأثني عشري، **أي إنها جعلت المذاهب الأربعة** كالفرق المبتدعة المخالفة للسنة في الاعتقاد، سواء بسواء، وهذا تلبيس عظيم، وأي تلبيس حيث يفتعل خلاف لا وجود له، وفرقة بين المذاهب الفقهية لا مكان لها، ويدعى تقارب بين فرق بدعية الخلاف معها قائم في أصول الاعتقاد فيوهم الناس أن الخلاف بين الحنابلة والشافعية كالخلاف مع الرافضة، أي أن

---

(١) ومرّ نص كلامه.

(٢) الفتاوى: ٣/١٦٩.

(٣) ومضى نص الجواب.

(٤) جاء في كتاب «مسألة التقريب» تعريف بدار التقريب: ١/١٧٣.

الخلاف في مسائل الاجتهاد كالاختلاف في أصول الاعتقاد، أو أنه لا اختلاف مع الرافضة في الاعتقاد، إنما هي خلافات يسيرة في أمور الفروع، أي أن ما عند الروافض من عقائد باطلة هي حق، وهذا حكم على الباطل بأنه حق وصد لأبواب الهداية أمام المغرر بهم من الروافض حيث يعتقدون أن ما عند السنة لا يختلف عما عندهم فيبحثون عن ضالتهم في غير السنة، أو يشكون في الإسلام ذاته إذا رأوا أن ما هم عليه فاسد في العقل، ومخالف للفطر وقيل لهم إن هذا بعينه هو ما عند أهل السنة.

جاء في القانون الأساسي لجماعة التقريب في المادة الثانية ما نصه:

أغراض الجماعة هي العمل على جمع كلمة أرباب المذاهب الإسلامية «الطوائف الإسلامية» الذين باعدت بينهم آراء لا تمس العقائد التي يجب الإيمان بها»[1] فأنت ترى أنها فسرت المذاهب الإسلامية بالطوائف الإسلامية ومن المعروف أن مصطلح الطوائف إنما يطلق على مثل المعتزلة والخوارج والشيعة. وفرق كبير بين المذاهب الفقهية الأربعة وهذه الطوائف فهي اعتبرت تعدد المذاهب الفقهية لدى أهل السنة من قبيل تعدد الفرق وهذا ما صرحت به في دعوتها للتقريب حين قالت.. المذاهب أو الطوائف الستة ـ تعني المذاهب الأربعة وطائفة الزيدية والشيعة وهذه مغالطة واضحة لكن دار التقريب أشاعت هذا المفهوم الخاطىء في كتبها ونشراتها وشعارها والحق أن يقال مذهب أهل السنة لأن أئمة المذاهب الفقهية اعتقادهم واحد ومذهب الشيعة أو مذاهب الشيعة لكثرة فرقها واختلافاتها..

ثم هل مذاهب أهل السنة الفقهية المتوارثة عن أئمة الهدى المعروفين

---

(١) انظر: مجلة رسالة الإسلام: ١٤/ ١٥١، وهذه المجلة هي لسان دار التقريب، وقد توقفت عن الصدور في رمضان عام ١٣٩٢هـ.

- رحمهم الله - تحتاج إلى دعوة للتقريب بينها - على حسب صنيع جماعة التقريب - مثل مذهب الشيعة مع غيره.

لا شك أن في هذه التسوية خطأ والسعي في التقريب بين المذاهب الأربعة سعي في تحصيل الحاصل بالنظر إلى أن أئمة تلك المذاهب أسرة واحدة في خدمة الدين، والرجوع إلى الكتاب والسنة والاحتجاج بالإجماع والقياس حتى نضج الفقه الإسلامي على أيديهم.

وقول «قانون الجماعة» أنه أوقع التباعد بين هذه الطوائف آراء لا تمس العقائد: مخالف للواقع إذ كيف يقال هذا والرافضة تكفر من أنكر إمامة أئمتهم الأثنى عشر، ومعنى هذا أن أهل السنة في اعتقاد الرافضة مخالفون لهم في أصل الاعتقاد، ثم هل مواقف الشيعة من كتاب الله وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم، والإجماع والصحابة، إلخ هل هذه قضايا لا تمس العقائد؟

فهذا القول - وهو أنه لا خلاف بين السنة والشيعة في آراء لا تمس العقائد إنما - كما يرى الشيخ رشيد رضا - يضر أهل السنة فقط[١] لأن ذلك معناه أن أهل السنة موافقون للشيعة في شذوذهم الذي يهدم الدين والعقيدة ولا يعتبرون ذلك الشذوذ ماساً بالعقيدة[١].

ثانيا: توهم بعض الناس إن اختلاف التنوع في أقوال الأئمة هو من قبيل الاختلاف الموجب للافتراق والنزاع، ولم يفرقوا بين نوعين من الاختلاف بينهما فرق عظيم هما:

أ - اختلاف التنوع.

ب - اختلاف التضاد.

---

(١) مجلة المنار: ٩/٤٣٣.

فالأول: ليس باختلاف في الحقيقة ولذا فهو لا يوجب نزاعًا ولا تفرقا وكل القولين منه حق وله صور متعددة يميزها أهل العلم مثل:

ـ اختلاف في الألفاظ والعبارات في تفسير النصوص.

ـ أو الاختلاف في ذكر الأنواع والصفات.

ـ أو الاختلاف في الاعتبارات.

كل ذلك يعد من اختلاف التنوع وكذا الاختلاف في المسائل الاجتهادية.

الثاني: اختلاف التضاد أو التناقض وهما القولان المتنافيان فأحدهما باطل بلا ريب[١].

ثالثًا: قد يحتج بعض الناس بأقوال بعض أتباع المذاهب الأربعة وقد ينسبها لإمام المذهب نفسه، وقد حاول ذلك بعض المبتدعة الذين يحبون إشاعة الفتنة في صفوف المسلمين، والتلبيس عليهم، ولا حجة لهم بذلك لأنه ليست العبرة بالتسمي بالحنفي والمالكي ونحوهما، بل إن الانتساب للإمام في الفروع لايقتضي بحال متابعته في المعتقد، ولذلك نجد من الكرامية المجسمة حنفية وانتسب إلى الامام أحمد ناس من الحشوية والمشبهة كما وجد أصناف من الأكراد في القرن السابع كلهم شافعية وهم مجسمة[٢]. والمالكية فيهم معطلة فليس تحقيق السنة بالانتساب لأحد الأئمة، ولكنه بمتابعة الكتاب والسنة فمن قال بها في الكتاب والسنة والإجماع فهو من أهل السنة والجماعة، وإن لم ينتسب إلى إمام من الأئمة، وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي، ولكنه ما وقر في القلب وصدقه العمل.

---

(١) ينظر للتفصيل مجموع الفتاوى: ٥٨/٦، ٣٨١/١٣، شرح الطحاوية ص٦١٠ ط بشير عيون.

(٢) الفتاوى: ١٩٧/٣.

كيد وتآمر :

لقد صنعت مكايد في الخفاء لابد من كشفها، وخرجت أباطيل ينبغي ردها، لقد ظهر كيد باطني ضد الاتجاه العقدي الواحد للأئمة بغية تفرقة الأمة وتشويه السنة، وتبعه مؤازرة من بعض الغافلين والمغفلين والجاهلين والمتجاهلين من المنتسبين للسنة حتى رأينا من يكتب عن «إسلام بلا مذاهب»(١) فيدرج فيه المذاهب الفقهية مع الطوائف الإسماعلية الإلحادية، ورأينا من يفتي بجواز التعبد بمقالات الروافض كمذاهب الأئمة(٢) بل انتسب لبعض المذاهب الأربعة طوائف من المبتدعة،

(١) وهو الأستاذ مصطفى الشكعة ـ أحد الأدباء البارزين، وأستاذ الأدب العربي في بعض الجامعات العربية ـ ولكنه أدخل نفسه في ميدان خارج تخصصه. . واقترح وجود إسلام بلا مذاهب وألف كتابًا بهذا الاسم قال: بأن «الهدف من إصداره توحيد الكلمة وجمع الشمل ورأب الصدع بين جمهور المسلمين على اختلاف مذاهبهم [إسلام بلا مذاهب ص١٣]» وقد أدرج فيه طوائف ليست من الإسلام في شيء كالإسماعيلية بفرقها المتعددة والتي قال عنها أئمة الإسلام بأن ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض، والنصيرية التي حكم عليهم العارفون بأمرهم من أئمة العلم والدين كشيخ الإسلام ابن تيمية بأنهم أكفر من اليهود والنصارى، كما أدخل طائفة القاديانية التي أجمع علماء الهند وباكستان وهم من أعلم الناس بها بأنها فرقة غير إسلامية. . وذكر مع هذه الفرق الخارجة عن الإسلام مذاهب الأئمة المعتبرة ولكنه استيقظ في الطبعة الخامسة من الكتاب وتنبه لكفر طائفة واحدة فقط من تلك الطوائف التي أدخلها في إسلام بلا مذاهب فحذفها من تلك الطبعة لأنه اطلع على كتاب لهم يضاهئون به كتاب الله سبحان وتعالى وقال «أصارح القاريء العزيز انه سوف يفتقد في هذه الطبعة الفصل الخاص بالطائفة الدرزية وذلك لأسباب كثيرة لعل أهمها اطلاعي على كتابهم «مصحف المنفرد بذاته».
وأقول: لو حاول التعرف على كثير من الفرق التي ضمنها كتابه من خلال مصادرها المعتمدة لألحقها بالدروز، ولعله يفعل ذلك إن شاء الله.

(٢) وهو الشيخ محمود شلتوت. . ولايزال الرافضة يوزعون نسخ تلك الفتوى بالملايين وقد بينت في رسالتي «مسألة التقريب» إن شلتوت وبنصوص أخرى من كتبه قد نقض هذه الفتوى [مسألة التقريب: ٢/١٨٦ ـ ١٨٧] وقد حدثني الشيخ عبدالرزاق عفيفي إن شلتوت رجل مغفل سهل الخديعة أقول ولذلك خدعه الروافض بتقيتهم ومعسول كلامهم.

وأصحاب الاتجاهات الباطنية للخداع والتزوير. حتى ذكر بعض المحققين أنه يوجد من أتباع المذاهب الأربعة من هو في الباطن رافضي[١]. لأنهم بهذا «الانتساب» أو بحملهم لهذا الجواز يجدون مناخًا ملائمًا لترويج بدعتهم، ويحققون لصوتهم سماعًا وتصديقًا لانتمائهم لهؤلاء الأئمة المتبوعين، فينشرون أقوالًا وعقائد ينسبونها للأئمة في وسط الأمة تؤيد مذهب هؤلاء المبتدعة أو تسيء للأئمة أو تزرع البلبلة بين الأمة أو تضلل الباحثين عن الحق.

فهم قد يؤلفون كتبًا في فقه بعض المذاهب ينشرونها في الأوساط التي لا تعتنق هذا المذهب، ويضمنون هذا المذهب شناعات عظيمة مثل: الأخذ بالقياس مع رد الأحاديث، أو إقرار بعض الفواحش، ويشير صاحب التحفة الأثني عشرية إلى كتاب ألفوه ونسبوه للإمام مالك وهو: «المختصر» وضعوا فيه على الإمام جواز اللواط بالعبيد[٢]، وذلك للإساءة لهذا الإمام ومذهبه.

وتحت ستار الانتساب لبعض مذاهب الأئمة قد يروجون لبعض المبادىء المبتدعة ويحتجون لمذهبها..

كما صنع سليمان الحنفي النقشبندي الذي يذكر حديث مسلم: «أن هذا الأمر لا ينقضي حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»[٣]، فيفسره بعقيدة الأثني عشر عند الرافضة.

ولهذا يستشهد الشيعي المعاصر محمد حسن الزين في كتابه: «الشيعة في التاريخ» بهذا الرأي ليسند عقيدته برأي سني حنفي[٤] والواقع أنه لا دخل

---

(١) منهاج السنة: ٢/١٧٩. ط: الأميرية.

(٢) انظر تفصيل ذلك في التحفة؛ الورقة ٤٥ ب.

(٣) صحيح مسلم: كتاب الإمارة، باب الناس تبع لقريش والخلافة في قريش: ٣/٦.

(٤) الشيعة في التاريخ: ص ١١٨.

لأهل السنة بهذا التوثيق، وإنما هي الصوفية المتشيعة التي ينتمي إليها النقشبندي ولا عبرة بالتسمي بالحنفي كما يعترف الشيعي الآخر مصطفى كامل الشيبي[١].

كما أن هذا الخبر لا صلة له بفكرة الإثني عشر عند الرافضة[٢].

كما قد يقوم بعض شيوخهم المنتسبين لبعض المذاهب بابتداع بعض الأفكار المشابهة لمذهب طائفته وطرحها في الوسط الإسلامي، ويرى الشيخ محمد أبو زهرة بأن الطوفي نجم الدين [المتوفى سنة ٧١٦هـ] قد تعمد الترويج للمذهب الشيعي بهذه الوسيلة وذلك في بحثه عن المصلحة، الذي قرر فيه أن المصلحة تقدم على النص، لأن هذا مسلك شيعي، ذلك أن «الشيعة» يقولون أن للإمام أن يخصص أو ينسخ النص بعد وفاة الرسول، صلى الله عليه وسلم، فالطوفي ـ كما يقول أبو زهرة ـ قد أتى بالفكرة كلها، وأن لم يذكر كلمة الإمام وأبدلها بالمصلحة ليروج القول وينشر الفكرة، ثم يقرر أبو زهرة بأن الطوفي في تهوينه من شأن النص، ونشر فكرة نسخه أو تخصيصه بالمصالح المرسلة قد أراد تهوين القدسية التي تعطيها الجماعة الإسلامية لنصوص الشارع»[٣].

وقد يستغلون التشابه في الأسماء والكنى والألقاب بين الأئمة المشهورين وبين بعض شيوخهم المغمورين.. فينسبون قول ذلك الشيخ الرافضي المغمور إلى ذلك الإمام السني المشهور، فمن لا وقوف له على حقيقة الأمر ينخدع ويظن أن ذلك القول الشاذ والمبتدع والخارج عن السنة المفارق للجماعة هو من مقالات بعض الأئمة المتبوعين في العلم والدين وما

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع ص ١١٠.

(٢) انظر بيان ذلك في منهاج السنة النبوية: ٤/٢٠٦ ومابعدها.

(٣) انظر: ابن حنبل: لأبي زهرة / ص٣٢٦.

خطر على باله الكيد والتلبيس وأن تلك المقالة من مقالات الروافض وشيوخهم.

ومن الطبيعي أن تتشابه الأسماء والألقاب والكنىٰ، ولكن من غير الطبيعي (بل هي جريمة ترتكب في الظلام) إستغلال التشابه في الأسماء والكذب على الأئمة وتضليل بعض أفراد الأمة، ولعل أول من اكتشف هذا الأسلوب الرافضي في المكر والخداع هو الإمام الدهلوي وتبعه آخرون فقالوا: (ومن مكايدهم يعني الروافض أنهم ينظرون في أسماء المعتبرين عند أهل السنة فمن وجدوه موافقًا لأحد منهم في الإسم واللقب أسندوا رواية حديث ذلك الشيعي إليه، فمن لا وقوف له من أهل السنة يعتقد أنه إمام من أئمتهم فيعتبر بقوله ويعتد بروايته، كالسدي فإنهما رجلان: أحدهما السدي الكبير، والثاني السدي الصغير، فالكبير من ثقات أهل السنة[1]. والصغير من الوضاعين الكذابين، وهو رافضي غالٍ[2] وكابن قتيبة رجلان: أحدهما: عبدالله بن قتيبة رافضي غال، وعبدالله بن مسلم بن قتيبة[3] من ثقات أهل السنة، وقد صنف كتابًا سماه «**بالمعارف**» فصنف ذلك الرافضي كتابًا وسماه «**بالمعارف**» أيضًا قصدًا للإضلال»[4].

---

(١) إسماعيل بن عبدالرحمن السدي، تابعي حجازي، سكن الكوفة، أخرج له مسلم وأصحاب السنن، توفي سنة ١٢٧هـ، انظر [الخلاصة]: ص٣٥ «الكاشف» ١/ ١٢٧.

(٢) محمد بن مروان بن عبدالله بن إسماعيل بن عبدالرحمن الكوفي، وهو كذاب وضاع عند أهل السنة، انظر: [الجرح والتعديل]: ٨/ ٨٦، و[تقريب التهذيب]: ٢/ ٢٠٦، [الخلاصة] ص٣٥٨، وانظر ترجمته في كتب الروافض، مثل: [الكنى والألقاب] للقمي ٢/ ٢٨٤ ـ ٢٨٥.

(٣) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، توفي ببغداد عام ٢٧٦هـ. وكان مولده سنة ٢١٣هـ، له مؤلفات كثيرة منها [تأويل مختلف الحديث] و[المعارف] و[الرد على الشعوبية] و[مشكل القرآن] وغيرها.

انظر: تاريخ بغداد ١٠/ ١٧٠ ـ ١٧١، إنباه الرواة: ٢/ ١٤٣ ـ ١٤٧ الأعلام: ٤/ ٢٨٠.

(٤) انظر: مختصر التحفة الأثني عشرية: ص٣٢، مختصر الصواقع ص٥١ [مخطوط]، نقض عقائد الشيعة: ص٢٥ [مخطوط].

وأضيف أيضًا: بأنه بسبب هذا التوافق في الأسماء والألقاب واستغلال الروافض له لحق الأذى الحسي والمعنوي بإمام أهل السنة محمد بن جرير الطبري، ذلك أن أحد الروافض كان يعيش مع الإمام في عصر واحد، بل في بلد واحد، ويقال له: محمد بن جرير بن رستم الطبري على سبيل التسمية أو التسمي، وكان هذا الرافضي ينشر الكتب باسم محمد بن جرير الطبري والناس لا يعرفون بهذا الاسم إلا ابن جرير الإمام، ولذا فقد اتهمه بعض العوام بالرفض ونسبوا له بعض كتب ذلك الرافضي والآراء التي تؤيد الرفض، وخفي الأمر على بعض العلماء فضلاً عن العوام وقد بلغ الأمر أنه لما مات الإمام ابن جرير «دفن في داره لأن بعض عوام الحنابلة ورعاعهم منعوا من دفنه نهارًا»[١].

والسبب في ذلك هو ما أشرنا إليه، ولذا قال ابن كثير أنهم «نسبوه إلى الرفض، ومن الجهلة من رماه بالإلحاد، وحاشاه من ذلك كله، بل كان أحد أئمة الإسلام علمًا وعملاً بكتاب الله وسنة رسوله»[٢].

وأقول: إنه كيد الروافض الخفي وتآمرهم الباطني، حيث قاموا بنسبة كتب وآراء إلى الإمام وهو منها بريء..

لقد نسب إليه القول بجواز مسح القدمين، وكتاب في أحاديث غدير خم يقع في مجلدين، وكتاب جمع فيه طرق حديث الطير[٣].

وكتاب المسترشد في الإمامة[٤]. إلا أن بعض العلماء تنبه إلى الحقيقة الخفية، وأشار ابن كثير إلى ذلك فقال: «فمن العلماء من يزعم أن ابن جرير

(١) البداية والنهاية: ١١/١٤٦.
(٢) المصدر السابق: ١١/١٤٦.
(٣) البداية والنهاية: ١١/١٤٧.
(٤) انظر: الفهرست لابن النديم / ص ٢٣٣٥.

اثنان: إحدهما شيعي إليه ينسب ذلك وينزهون أبا جعفر هذا عن هذه الصفات»[١].

وهـذا الذي أشار إليه ابن كثير أصبح اليوم إحدى الحقائق الجلية المكشوفة التي لا تحتاج إلى نظر وتحليل، تقول كتب الروافض: محمد بن جرير بن رستم بن جرير الطبري أبو جعفر من علماء الإمامية توفي ببغداد سنة ٣١٠هـ. (أي في نفس السنة التي توفي فيها الإمام) ومن آثاره: «**المسترشد في الإمامة**» «**نور المعجزات في مناقب الأئمة الأثني عشر**» وغيرها[٢].

لكنهم وهم يقولون ذلك في كبتهم يلبسون في كتب الرد على أهل السنة أو الدعاية لمذهبهم بهذا اللون من التلبيس.

وهناك رافضي آخر يسمىٰ بأبي جعفر الطبري ويستخدم أيضًا اسمه هو الآخر في الإيهام والتدليس[٣].

في حين أنه محمد بن أبي القاسم بن علي الطبري من شيوخهم في القرن السادس ومن أقواله تكفير أمة الإسلام فهويقول «من شك في تقديمه (يعني عليًّا) أي تقديمه على أبي بكر) وتفضيله ووجوب طاعته وولايته محكوم بكفره وإن أظهر الإسلام وجرى عليه أحكامه»[٤].

وقد خلّط بعضهم[٥] بينه وبين الرافضي السابق في حين أن بينهما أكثر

---

(١) البداية والنهاية ١١/١٤٧.

(٢) انظر: تنقيح المقال: ٢/٩١، مقدمة البحار: ١/١٧٧، وراجع في التفرقة بين الرجلين، مجلة المجمع العلمي العراقي في المجلد التاسع ١٣٨١هـ ص٣٤٥.

(٣) وقد نشرت جريدة المدينة (العدد ٤٦٢١) الثلاثاء ٢٤/رجب/١٣٩٩هـ ص٧، حكاية موضوعة بعنوان (عقد الزهراء) وماكانت هذه القصة لتأخذ طريقها للنشر لولا الاشتباه في الاسم.

(٤) بشارة المصطفى ص٥١.

(٥) وهو الأستاذ فؤاد سيزكين في كتابه تاريخ التراث: ٢/٢٦٠.

من قرنين وقد ضلل الروافض ولا يزالون يضللون بهذا اللون من الكيد، فهذا ابن قتيبة الإمام السني نسب إليه كتاب [**الإمامة والسياسة**] وهو من وضع ابن قتيبة الرافضي وقد خفي هذا الأمر على الكثيرين، ولذا إحتار الباحثون في نسبة كتاب «الإمامة والسياسة» إلى ابن قتيبة السني لما فيه من أباطيل وحاول بعضهم التعرف على المؤلف فلم يفلح حتى قال: «لقد حاولت كثيراً أن أتعرف على شخصية المؤلف الحقيقي لكتاب الإمامة والسياسة، ولكني لم أعثر على شيء»[1].

بل لقد بلغ الأمر في الغفلة عن هذه الحقيقة أن طرح الباحث افتراض أن يكون المؤلف من أتباع الإمام مالك[2]، مع أن الكتاب فيه المسحة الرافضية جلية واضحة، حيث الطعن في الصحابة ودعوى أن عليًّا رفض بيعة أبي بكر لأنه ـ على حد زعم الرافضي ـ أحق بالأمر[3]، وغاب عن الباحث وعن الكثيرين الدسائس الرافضية في هذا الأمر، وأن ابن قتيبة رجلان رافضي وسني.. ولعل أول من كشف هذه الدسيسة وفضح هذه المؤامرة العلامة الدهلوي وهو من أعلم الناس بهذه الطائفة ومؤامراتها، وذلك في كتابه التحفة الإثني عشرية الذي ذهب فيه إلى القول بأن لهذه الطائفة مكايد لا تدري اليهود بعشرها.. ولو رجع الباحث إلى التحفة [القسم المخطوط] لبان له الخفا وانكشف له المغطا.

ومن الكيد للأئمة.. أن يشاع عن إمام من الأئمة مفارقته للسنة ومخالفته للجماعة بلا دليل سوى دعاوى الخصوم وشائعاتهم مع أن المنهج

---

(١) عبدالله عسيلان، الإمامة والسياسة: ص٢٠.

(٢) المصدر السابق ص٢٠.

(٣) وقد ساق د. عبدالله عسيلان أمثلة لذلك من الكتاب المذكور (المصدر السابق ص١٧، ١٨، ١٩).

العلمي يفرض وجوب التثبت في هذا الأمر والرجوع لكلام الإمام نفسه في مصادره المعتمدة، وعدم التعويل على دعاوي المتحاملين واتهامات المبطلين.. وكم من إمام ـ إفترى عليه، وتقول عنه، بل لقد كذب على إمام الأئمة وسيد الأمة رسول الهدى صلى الله عليه وسلم، **فكيف بمن دونه؟**

ومن أكثر الأئمة في عصورنا المتأخرة عرضة للافتراء عليه الإمام المصلح شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، ومن رجع إلى كتاب [دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب] تجلت له هذه الحقيقة، ومن رجع إلى كتب الإمام عرف حقيقة الإمام وقدر التحامل عليه.. وصارت حاله كحال ذلك الشيخ الذي كان في درسه يتعرض للإمام بالنقد والذم.. فتوجه إليه أحد العارفين بأمر الإمام وقدم له كتاب «التوحيد الذي هو حق الله على العبيد»، ولكن بعد أن نزع غلافه وأخفى إسم مؤلفه، وطلب من الشيخ أن يقول رأيه في هذا الكتاب.. وبعد أن أتم الشيخ قراءته.. قال: إنه كتاب عظيم.. فقال الطالب الذكي: يا شيخ هذا من تأليف الإمام محمد بن عبدالوهاب ـ فرجع الشيخ إلى صوابه.

وأذكر أنني كنت في زيارة إلى ماليزيا للمشاركة في ندوة.. فقال لي مرة أحد القضاة هناك: أنتم تدرسون في بلادكم العقيدة الوهابية، قلت له: المذهب الفقهي السائد في المملكة هو المذهب الحنبلي، والمرجع الرئيس في كليات الشريعة وأصول الدين، وهي الكليات التخصصية، والمتخرجون منها يتولون تدريس «**الاعتقاد**» في المراحل الإعدادية والثانوية.

المرجع الرئيس هو العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر الطحاوي الحنفي.. وشرحه للإمام علي بن علي بن أبي العز الحنفي.. فأنت ترى أن صاحب المتن والشرح هم من علماء الحنفية، ولا ضير في ذلك، لأنه ليس للإمام أبي حنيفة مذهب يختلف عما عند أخيه الإمام أحمد كما ليس للإمام

مالك والشافعي وسائر الأئمة مذهب يختلف عن مذهب أبي حنيفة وأحمد، والجميع أسرة واحدة، وأصحاب اعتقاد واحد. . لأن موردهم واحد، ومشربهم واحد. . وكذا الحال بالنسبة لمعتقد الإمام محمد بن عبدالوهاب.

ولو جاء واحد من هؤلاء ـ وحاشاه ـ بقول مبتدع من عنده يخالف قول الله أو قول رسوله أو إجماع السلف لضربنا بقوله عُرض الحائط. . وأخذنا بقول الله ورسوله. . وإلا تعرضنا لسخط الله ومقته:

ولو رجع هؤلاء إلى كتب الأئمة ذاتها لتجلى لهم الأمر ولتبين لهم أنها الدسائس المغرضة التي شوهت الحقيقة عندهم، والتلبيس الذي أرخى بسدوله المظلمة على وجه الحق البين.

وأذكر أنني دخلت مرة على الأستاذ «**عبدالجليل شلبي**» مدير تحرير مجلة الأزهر إبان تحضيري لأطروحة علمية عن التقريب بين السنة والشيعة عام **١٣٩٩**هـ وجرى حديث عن موضوع الشيعة والسنة، **فقال لي**: وصيتي إليك ألا تأخذ مذهب طائفة إلا من كتبها ومصادرها المعتمدة عندها، فلقد أتىٰ عليَّ حين من الدهر كنت أظن في دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب الظنون، بل كنت أعدها من فئات الخوارج، فلما رجعت إلى مصادرهم تجلت لي الحقيقة، وأسفر الليل عن صبحه. . **فإذا بي واهم** وأن هذه الدعوة هي دعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له. ودعاوى وتقولات المبتدعة على بعض الأئمة أو مذاهبهم كثيرة[1]. وما أسهل الدعوى، ولكن العبرة بصدق الأقوال باقترانها بالبرهان الذي يشهد بصحتها.

هذا ومن صنوف الكيد الباطني والمكر الرافضي أنهم يصنفون كتبًا ينسبونها لبعض أئمة السنة يضمنونها معتقدات باطلة توافق ما هم عليه من

(١) راجع: كتاب [دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب] للدكتور عبدالعزيز بن عبداللطيف.

بدعة أو كفر وقد عقد الإمام الشوكاني في كتابه «**الفوائد المجموعة**» مبحثا بعنوان: «**النسخ الموضوعة**» وبعد عرضه لها ذكر أن أكثرها من وضع الرافضة وهي موجودة عند اتباعهم(١).

وقد ذكر صاحب التحفة الإثنى عشرية بأن الرافضة والتي تسمى في عصرنا «**الشيعة**» ينسبون بعض الكتب لكبار علماء السنة مشتملة على مطاعن في الصحابة وبطلان مذهب أهل السنة ويمثل لذلك بكتاب «**سر العالمين**» ويقول أنهم نسبوه إلى الإمام أبي حامد الغزالي وشحنوه بالهذيان وذكروا في خطبته عن لسان الإمام وصيته بكتمان هذا السر، وحفظ هذه الأمانة، وما ذكر في هذا الكتاب فهو عقيدتي وما ذكر في غيره فهو للمداهنة»(٢) وقد رأيتهم في بعض مؤلفاتهم المعاصرة يرجعون لهذا الكتاب ويحتجون ببعض ما فيه على أهل السنة (٣).

وقد طبع هذا الكتاب عدة طبعات في بومباي سنة ١٣١٤هـ، القاهرة سنة ١٣٢٤هـ، وسنة ١٣٢٧هـ، طهران بغير تاريخ (٤).

ويشير د. عبدالرحمن بدوي إلى أن ثلاثة من المستشرقين ذهبوا إلى القول بأن الكتاب منحول (جولد تسيهر) (بويج) (مكرونالد) (٥)، ويذهب عبدالرحمن بدوي إلى هذا الرأي ويقطع به ويحتج لذلك فيقول: «والأمر الذي يقطع بأن الكتاب ليس للغزالي هو ما ورد في ص٨٢ من قوله: (أنشدني المعري لنفسه وأنا شاب في صحبته يوسف بن علي شيخ

(١) الفوائد المجموعة ص٤٢٥.

(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية ص٣٣ و «نقض عقائد الشيعة» للسويدي ص٢٥ [مخطوط].

(٣) انظر مثلاً (مصادر كتابهم كشف الاشتباه) للرشتي الرافضي.

(٤) عبدالرحمن بدوي: «مؤلفات الغزالي»: ص٢٢٥.

(٥) المصدر السابق: ص٢٧١.

الإسلام)[١] فإن المعري توفي سنة ٤٤٨ بينما ولد الغزالي سنة ٤٥٠ فكيف ينشده لنفسه»[٢].

وهذا الأسلوب في الوضع له خطورته.. ويذكر السويدي أنه على هذه الطريقة نسبت كتب كثيرة، ولا يعرفها إلا من كان عارفًا بمذاق كلام أهل السنة[٣].

ومن أساليب كيدهم وضع الأقوال المنكرة على الأئمة بغية تفرقه الأمة والكيد للأئمة حيث يبتدعون أقوالاً ويحدثون معتقدات تتفق مع ضلالاتهم.. وينسبونها إلى كتاب منسوب لأحد الأئمة المعتبرين وذلك الكتاب اسم لا مسمى له حيث لا وجود له أصلاً أو أن الكتاب موجود لكن الكلام المنسوب إليه لا يوجد فيه البتة[٤] ومن وقائع هذا المكر ما كشفه شيخ العلماء الأعلام فريد دهره ووحيد عصره ـ كما يصفه الألوسي ـ الشيخ محمد الشهير بخواجه نصر الله الهندي المكي الذي ذكر بأن الرافضة «ينقلون ما يدل على مطاعن الصحابة وما يُستدل به على بطلان مذهب غير الرافضة عن كتاب يعزون تأليفه إلى بعض كبراء أهل السنة وذلك الكتاب لا يوجد تحت أديم السماء.. أو أنهم ينقلون أخبارًا دالة على مطاعن الصحابة عن كتب عزيزة الوجود لأهل السنة ليس في تلك الكتب منها أثر»[٥] ويقول فإن

---

(١) والغريب أني رأيت الذهبي ـ رحمه الله ـ ينسب هذا الكتاب إلى أبي حامد الغزالي «ميزان الاعتدال»: (جـ١/ص٥٠٠) ترجمة الحسن بن الصباح الإسماعيلي. وقد يكون هذا الأمر قد فات على الإمام الذهبي.. أو أن يكون للإمام الغزالي كتاب بهذا العنوان قد فقد فألف الروافض كتابًا يحمل اسم ذلك الكتاب المفقود ونسبوه للغزالي.

(٢) «مؤلفات الغزالي» د. عبدالرحمن بدوي: ص٢٧١.

(٣) «نقض عقائد الشيعة» (مخطوط): ص٢٥.

(٤، ٥) مختصر الصواقع ص٥١ [مخطوط] ونقض عقائد الشيعة للسويدي ص٢٥ [مخطوط].

الأردبيلي أكثر ما ينقل في «كشف الغمة» من هذا القبيل، وكذا الحلى في الألفين وابن طاوس وغيرهم[(١)].

ومن وسائل مكرهم وأساليب غزوهم الفكري لاعتقاد الأمة الواحد أنهم يصنفون كتبًا يلبسونها المظهر السني إما في عنوانها أو في بعض مضامينها ولكن يدسون فيها ما يشهد لبدعتهم وبنشر ضلالهم ومن وقائع هذا المسلك ما كشفه الإمام الدهلوي ـ رحمه الله ـ من أنهم «يؤلفون كتابًا في فضائل الخلفاء الأربعة ويضمنونه أحاديثًا صحاحًا من طرق أهل السنة تبين فضائلهم ومناقبهم ويضعون في فضائل على ما يوجب القدح في الخلفاء الثلاثة وضعا أو نقلاً من كتبهم. فإذا قرأ القارىء فضائل الخلفاء الثلاثة ظن أن مؤلفه سنى حسن العقيدة ثم إذا وصل إلى فضائل الخليفة الرابع ورأى فيها ما يطعن في الخلفاء الثلاثة ظن أن في تصانيف أهل السنة ما يوجد من الأحاديث القادحة في الخلفاء الثلاثة»[(٢)].

ومن وسائلهم: أنهم قد يستشهدون بنص متداول مشهور منسوب لأحد الأئمة ولكن يضيفون عليه ما يخدم بدعتهم ويروج لضلالتهم حتى أنهم يضيفون على بعض الأحاديث المشهورة كما فعلوا حين زادوا على النص في استخلاف علي عَلَى المدينة في غزوة تبوك زيادة موضوعة وهي (ولا ينبغي أن أذهب إلا وأنت خليفتي في المدينة»[(٣)].

وهذه الزيادة علاوة على أنها كذب على رسول الله، صلى الله عليه وسلم، هي من كذب الجهال ووضع من لا يحسن الوضع؛ فإن النبي،

---

(١) انظر: التحفة الاثنى عشرية ص٤٦ [مخطوط].

(٢) انظر: منهاج الكرامة للرافضي ابن المطهر الحلي ص١٣٣ (والمطبوع مع منهاج السنة النبوية تحقيق د. محمد رشاد سالم».

(٣) انظر منهاج السنة: ٣/٩٠٨، ٣/١٦، ٤/٩٤.

صلى الله عليه وسلم، ذهب غير مرة وخليفته على المدينة غير علي كما أعتمر عمرة الحديبية وعلي معه وخليفته غيره، وغزا بعد ذلك خيبر ومعه علي وخليفته بالمدينة غيره، وغزا غزوة الفتح وعلي معه وخليفته بالمدينة غيره، وغزا حنينا والطائف وعلي معه وخليفته بالمدينة غيره وحج حجة الوداع وعلي معه وخليفته بالمدينة غيره وغزا غزوة بدر ومعه علي وخليفته بالمدينة غيره وكل هذا معلوم بالأسانيد الصحيحة وباتفاق أهل العلم بالحديث(١) وأمثلة هذا الأسلوب كثيرة جدًا

ومن مكرهم الخفي أيضًا أنهم ينقلون نصوصًا منكرة، ويزعمونَ أنهم أخذوها من مصادر أهل السنة المعتبرة بل أنهم يزعمون في بعض الأحاديث الموضوعة أنها مما إتفقت عليه مصادر السنّة والواقع خلاف ذلك.

وأقرب مثال على هذا كتاب «**منهاج الكرامة**» لابن المطهر الحلي حيث نجده يدعي في كتابه أنه لا يأخذ إلا من المصادر المعتبرة، ومن الصحيح منها يقول: (ونحن نذكر هنا شيئاً يسيراً مما هو صحيح عندهم ونقلوه في المعتمد من كتبهم)(١).

ومع هذا «**الادعاء**» فهو يورد كثيراً من الأحاديث الموضوعة ومن مصادر غير معتمدة.

فهو يستقي أحاديثه من تفسير الثعلبي(٢) ومن الحلية لأبي نعيم(٣) ومما

---

(١) «منهاج الكرامة»: ص١١٩ المطبوع مع كتاب «منهاج السنة» بتحقيق د. رشاد سالم.

(٢) انظر: «منهاج الكرامة»: في عدة مواضع ص١٤٩، ١٥٨، ١٦١، ١٦٢.

(٣) المصدر السابق: في عدة مواضع ص١٥٠، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٦٠، ١٦١، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥.

رواه أخطب خوارزم[١] وصاحب الفردوس[٢] والفقيه المغازلي الشافعي[٣] وغيرهم.

ويروي أحاديث موضوعة من الحلية لأبي نعيم ونحوه ويدعي أنها مما (أجمع المفسرون عليه)[٤].

وينسب لبعض السنن والمسانيد أخبارًا ضعيفة أو موضوعة ويزعم إجماع الجمهور على صحتها، وقد ينسب إليها ما ليس فيها وهذه طريقة الروافض[٥].

وقد كشف شيخ الإسلام ابن تيمية ذلك في منهاجه ولاسيما في المجلد الأخير. وأورد تقويم أهل السنة لهذه الكتب التي ينقل منها الرافضي وأمثاله[٦] ولا شك أن المرجع في تمحيص وتحقيق «المنقول» إنما يكون إلى

---

(١) المصدر السابق في عدة مواضع ص١٢٤، ١٧٣.

(٢) انظر: «منهاج الكرامة»: وفي أكثر من موضع ص١٥٥، ١٦٦.

(٣) انظر: «منهاج الكرامة»: وفي أكثر من موضع ص١٥٤، ١٥٥.

(٤) انظر مثلاً: ص١٦٦ حيث ذكر تفسير ﴿صالح المؤمنين﴾ في قوله سبحانه: ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ ذكر أن المراد به «علي» وقال: (أجمع المفسرون على أن صالح المؤمنين هو علي) ثم أورد رواية في تفسيرها بذلك عزاها لأبي نعيم. ورد على ذلك ابن تيمية في (جـ٤/ص٧٩) من «منهاج السنة» وكذبه في دعوى الإجماع، وبيّن أن هذه الرواية موضوعة.

(٥) قال ابن تيمية: (ورأيت كثيرًا من ذلك المعزو عزاه أولئك - يعني بهم شيوخ الروافض الذي اطلع على كتبهم - إلى المسند والصحيحين وغيرهما باطلاً لا حقيقة له..) انظر: «منهاج السنة» (جـ٤/ ٢٧).

(٦) من أمثلة ذلك مايلي:
قال ابن تيمية عن الثعلبي: (علماء الجمهور متفقون على أن مايرويه الثعلبي وأمثاله لا يحتجون به.. إلا أن يعلم ثبوته بطريقة) «منهاج السنة»: (٤/ ٢٥). وقد تكرر الكلام من ابن تيمية عن الثعلبي وتفسيره في عدة مواضع، انظر: «منهاج السنة»: (جـ٤/ص١٨ و٢٨ و٣١ و٤٦، =

(أمناء حديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، كما أن المرجع في النحو إلى أربابه، وفي القراءات إلى حذاقها، وفي اللغة إلى أئمتها، وفي الطب إلى علمائه. فلكل فن رجال. وعلماء الحديث أجل وأعظم تحريًا للصدق من كل

= ٤٨ و٨٣ و ٨٤ و ٩٥، ١٠٥، و ١١٥ وغيرها وقال ابن تيمية وإذا كان الحديث في بعض كتب التفسير التي ينقل فيها الصحيح والضعيف مثل تفسير الثعلبي، والواحدي، والبغوي، بل وابن جرير، وابن أبي حاتم لم يكن مجرد رواية واحد من هؤلاء دليلاً على صحته باتفاق أهل العلم) «منهاج السنة»: (جـ٤/ص٨٠) وقال:

«ومايرويه أبو نعيم في الحلية أو في فضائل الخلفاء والنقاش والثعلبي والواحدي ونحوهم في التفسير قد اتفق أهل المعرفة بالحديث على أن فيما يروونه كثيرًا من الكذب الموضوع» «المصدر السابق» (٤/ ١٠). وقال عن ابن المغازلي الواسطي: (قد جمع في كتابه من الأحاديث الموضوعة ما لا يخفى أنه كذب على من له أدنى معرفة بالحديث): (٣/٤، ٥) وقال: (كتاب الفردوس للديلمي فيه موضوعات كثيرة..): (٤/٣٨) وقال: عن رزين بن معاوية وكتابه «التجريد للصحاح الستة» (ورزين قد ذكر في كتابه أشياء ليست في الصحاح): (٤/ ٤٣) وقال ـ عن زيادات القطيعي على مسند أحمد.

(زيادات القطيعي التي فيها من الكذب الموضوع ما اتفق أهل العلم على أنه كذب موضوع): (٤/ ٧٥).

وقال: (وأما رواية ابن خالويه فلا تدل على أن هذا الحديث صحيح باتفاق أهل العلم وكذلك رواية أخطب خوارزم فإن في روايته من الأكاذيب المختلفة ماهو أقبح من الموضوعات باتفاق أهل العلم): (٤/ ١٠٦).

وقال: (النسائي في خصائص علي ذر فيها عدة أحاديث ضعيفة.. والترمذي في جامعه روى أحاديث كثيرة في فضائل علي كثير منها ضعيف.. وأصحاب السير كابن إسحاق وغيره يذكرون من فضائله أشياء ضعيفة: (٤/ ٤٨).

وقال: (ومن الناس من يكون قصده رواية كل ماروى في الباب من غير تمييز بين صحيح وضعيف كما فعله أبو نعيم في فضائل الخلفاء وكذلك غيره ممن صنف في الفضائل ومثل ماجمعه أبو الفتح بن أبي الفوارس وأبو علي الأهوازي وغيرهما في فضائل معاوية ومثل ماجمعه النسائي في فضائل علي وكذلك ما جمعه أبو القاسم بن عساكر في فضائل علي وغيره..): (٤/ ٨٤).

أحد علم ذلك من علمه، فما اتفقوا على صحته فهو الحق، وما أجمعوا على تزييفه وتوهينه فهو ساقط، وما اختلفوا فيه نُظر فيه بإنصاف وعدل فهم العمدة: كمالك وشعبة والأوزاعي والليث والسفيانين والحمّادين وابن المبارك ويحيى القطان وعبدالرحمن بن مهدي ووكيع وابن علية والشافعي وعبدالرزاق والفريابي وأبي نعيم والقعنبي والحميدي وأبي عبيد وابن المديني وأحمد وإسحاق وابن معين وأبي بكر بن أبي شيبة والذهلي والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم وأبي داود ومسلم وموسى بن هارون والنسائي وابن خزيمة وأبي أحمد بن عدي وابن حبان والدارقطني وأمثالهم من أهل العلم بالنقل والرجال والجرح والتعديل)[١].

من هنا يتبين أنه لا يمكن الاعتماد على نقل الرافضة والباطنية وعموم الكذبة من المبتدعة من كتب أهل السنة ما لم يكن هذا النقل صحيح النسبة للمنقول منه وموثق عن رجاله المختصين به.

---

(١) «المنتقى»: ص٤٢٣.

الفصـل الرابـع

جمل من اعتقاد الأئمة ومصنفاتهم تشهد باتفاقهم

جمل من إعتقاد الأئمة ومصنفاتهم تشهد باتفاقهم:

قال الإمام الأصفهاني رحمه الله : إنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم قديمهم وحديثهم، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم وتباعد ما بينهم في الديار وسكون كل واحد منهم قطرًا من الأقطار، وجدتهم في بيان الاعتقاد على وتيرة واحدة، ونمط واحد، وقولهم في ذلك واحد، ونقلهم واحد، لا ترى بينهم اختلافًا ولا تفرقًا في شيء ما وإن قل بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ونقلوه عن سلفهم وجدته كأنه جاء من قلب واحد، وجرىٰ على لسان واحد(١).

وقال شيخ الإسلام أبو إسماعيل الصابوني في كتابه «عقيدة السلف» بعد ذكره لجمل من اعتقادهم «وهذه الجمل التي أثبتها في هذا الجزء كانت معتقد جميعهم لم يخالف فيها بعضهم بعضا بل أجمعوا عليها كلها»(٢).

وقد سجل الإمام اللالكائي ـ رحمه الله ـ مقولات أعيان الأئمة المأثورة عنهم في الاعتقاد تحت عنوان (سياق ما روي عن المأثور عن السلف في جمل اعتقاد أهل السنة والتمسك بها بحفظها قرنًا بعد قرن).

فذكر إعتقاد الإمام الثوري والأوزاعي، وابن عيينة، وأحمد بن حنبل وابن المديني وأبي ثور، والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم والتستري وابن جرير الطبري(٣)، وكلها تجري على نمط واحد.

ومن قبل قام الإمام أبو جعفر الطحاوي فكتب رسالة نفيسة تلقتها الأمة بالقبول «فأخبر ـ رحمه الله ـ عما كان عليه السلف، ونقل عن الإمام

---

(١) الحُجة في بيان المحجة : ٢/٢٢٤ ـ ٢٢٥.

(٢) عقيدة السلف، أو «رسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة) ص١١١.

(٣) راجعها في شرح أصول اعتقاد أهل السنة جـ١/١٥١ ـ ١٨٣ أو كاشف الأمة في اعتقاد أهل السنة.

أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وصاحبيه أبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الحميري الأنصاري، ومحمد بن الحسن الشيباني ـ رضي الله عنهم ـ ما كانوا يعتقدونه من أصول الدين ويدينون به رب العالمين[١].

واعتقاد هؤلاء هو نفس اعتقاد السلف وبقية الأئمة: «فإن أقوال الأئمة في أصول الدين متفقة»[٢] لأن مصدر التلقي عند الجميع واحد كما سلف وقد قام بعض الأئمة ـ كما يذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ بجمع الأحاديث والآثار المروية في الاعتقاد[٣]، ولعل أول من قام بذلك الإمام حماد بن سلمة المتوفى سنة ١٦٧هـ وقد قارب الثمانين.

قال الذهبي: «هو أول من صنف التصانيف مع ابن أبي عروبة»[٤] كما جمع أيضًا الأحاديث والآثار المروية في عقائد أهل السنة طائفة من الأئمة منهم:

ـ **عبدالرحمن بن مهدي**[٥]، المتوفى سنة ١٩٨هـ. الذي قال فيه الإمام الشافعي [لا أعرف له نظيرًا في الدنيا] يعني في زمنه، وقال علي بن المديني [أعلم الناس بالحديث عبدالرحمن بن مهدي].

ـ وكذلك **عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي**، شيخ الإسلام بسمرقند صاحب المسند العالي، والتفسير، والجامع[٦] والذي حدث عنه مسلم وأبو داود والترمذي والمتوفى سنة ٢٥٥هـ.

---

(١) شرح الطحاوية: ١/١٣.

(٢) درء تعارض العقل والنقل: ٢/٣٠٨.

(٣) انظر: عقيدة أهل السنة لابن تيمية: بتعليق الشيخ عبدالرزاق عفيفي ص١٩ـ ٢٠.

(٤) تذكرة الحفاظ: ١/٢٠٢.

(٥) انظر ترجمته في تهذيب التهذيب: ٦/٢٧٩.

(٦) ترجمته في تذكرة الحفاظ ٢/٣٥٤، تهذيب التهذيب: ٥/٢٩٤ ـ ٢٩٦، وانظر: تاريخ التراث فؤاد سيزكين: ١/١٧٢.

- وعثمان بن سعيد الدارمي الحافظ محدث هراة وأحد الأعلام الثقات صاحب كتاب «الرد على الجهمية» و«الرد على بشر المريسي» والمسند، توفي سنة ٢٨٠هـ[١].

- وأبو بكر أحمد بن محمد بن هانىء المعروف بـ «الأثرم» الحافظ الكبير صاحب الإمام أحمد، قال الذهبي صنف التصانيف.. له كتاب نفيس في السنن يدل على إمامته وسعة حفظه[٢].

- وأبـو عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل الإمام الحافظ الحجة صاحب كتاب السنة المتوفي سنة ٢٩٠هـ[٣].

- وأبو بكر أحمد بن محمد بن هارون المشهوربالخلال صاحب كتاب السنة والجامع، توفي سنة ٣١١هـ[٤].

- وأبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الطبراني صاحب «المعجم الكبير» «والمعجم الأوسط» و «المعجم الصغير» وكتاب «السنة» و «دلائل النبوة» و «الرد على الجهمية» و «التفسير»، توفي سنة ٣٦٠هـ[٥].

- وأبو محمد عبدالله بن محمد المعروف بأبي الشيخ الأصبهاني حافظ

---

(١) ترجمته في طبقات الشافعية : ٢/٣٠٢، مرآة الجنان: ٢/١٩٣، تاريخ التراث: ٢/٣٧٠، ٣٧١.

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ: ٢/٥٧٠ ـ ٥٧١، تاريخ بغداد: ٥/١١٠، ١١٢، شذرات الذهب: ٢/١٤١ ـ ١٤٢ تاريخ التراث: ٢/٢٠٩.

(٣) انظر طبقات الحنابلة: ١/١٨٠، تهذيب التهذيب: ٥/١٤١، ١٤٣، تاريخ التراث: ٢/٢٠٠.

(٤) انـظر: تذكـرة الحفاظ: ٣/٧٨٦، البداية والنهاية: ١١/١٤٨، تاريخ بغداد: ٥/٣١٢ ـ ٣١٣، تاريخ التراث ٢/٢١٢.

انظر: وفيات الأعيان: ٢/٤٠٧، تذكرة الحفاظ: ٣/٩١٢، النجوم الزاهرة: ٤/٥٩ ـ ٦٠، تاريخ التراث: ١/٢١٨

أصبهان وإمامها والمحدث الثقة، والمفسر المشهور صاحب كتاب «العظمة» أو «عظمة الله ومخلوقاته» وغيره[١] توفي سنة **٣٦٩**هـ.

ـ **وأبـو بكـر محمد بن الحسين الآجري** مصنف كتاب «الشريعة» و«التصديق بالنظر إلى الله في الآخرة» توفي سنة **٣٦٠**هـ[٢].

ـ **وأبـو الحسن علي بن عمـر.. الدارقطني**، الإمام شيخ الإسلام والحافظ الشهير صاحب السنن، ومصنف كتاب «الصفات» و«أحاديث الصفات» و«أحاديث النزول» و«فضائل الصحابة ومناقبهم» و«ما ورد من النصوص المتعلقة برؤية الباري سبحانه» وغيرها، توفي سنة **٣٨٥**هـ[٣].

ـ **وأبـو عبدالله محمد بن الشيخ أبي يعقوب إسحاق بن الحافظ أبي عبدالله محمد بن أبي زكريا يحيى بن منده الأصفهاني**، الذي تلقى العلم من **١٧٠٠** شيخ في أقطار العالم الإسلامي ومن آثاره: «كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته» و«الرد على الجهمية» وغيرها، توفي سنة **٣٩٥**هـ[٤].

ـ **وأبـو القـاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي**، الإمام الحافظ الفقيه، ومحدث بغداد، وصاحب كتاب السنة والسنن المتوفى سنة **٤١٨**هـ[٥].

---

(١) انظر طبقات الحفاظ: ٣/٩٤٥، النجوم الزاهرة: ٤/١٣٦، شذرات الذهب: ٣/٦٨، تاريخ التراث: ١/٣٢٦.

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/٣٩٦، تاريخ بغداد: ٢/٢٤٣، البداية والنهاية: ١١/٢٧٠، تاريخ التراث: ١/٣١٤.

(٣) انظر: تاريخ بغداد: ١٢/٣٤، تذكرة الحفاظ: ٣/٩٩١، غاية النهاية ص (٥٥٨)، تاريخ التراث ١/٥٠٩.

(٤) انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/١٠٣١، لسان الميزان: ٥/٧٠ـ٧٢، الوافي بالوفيات: ٢/١٩٠-١٩١، تاريخ التراث: ١/٣٥٣.

(٥) انظر: تاريخ بغداد / ١٤/٧٠ ـ ٧١، تذكرة الحفاظ: ٣/١٠٨٣، وانظر: تاريخ التراث: ٢/١٩٤، فهرس المخطوطات للألباني: ص٣٨٤.

ـ وأبـو عبـدالله عبيـدالله بن محمد . . العكبري المعروف بابن بطة صاحب الإبانة الكبرىٰ . . والإبانة الصغرىٰ توفي سنة ٣٨٧هـ(١).

ـ وأبو عمر أحمد بن محمد . . المعافري الأندلسي الطلمنكي عالم أهل قرطبة والذي روى عنه أبو عمر بن عبدالبر وأبو محمد بن حزم والذي كان ـ كما يقول ابن بشكوال ـ سيفًا مجردًا على أهل الأهواء والبدع قامعًا لهم، غيورًا على الشريعة، وكان ـ كما يقول الذهبي ـ حافظًا للسنن إمامًا عارفًا بأصول الديانة، ذا هدى وسمت واستقامة، توفي سنة ٤٢٩هـ(٢).

ـ وأبو نعيم أحمد بن عبدالله بن أحمد . . الأصبهاني، الحافظ الكبير، محدث العصر، ومصنف «حلية الأولياء» و «المعتقد» و «فضائل الصحابة» و «دلائل النبوة» وغيرها، والمتوفىٰ سنة ٤٣٠هـ(٣).

ـ وأبو ذر عبدالله بن أحمد بن محمد . . الأنصاري الهروي، الإمام العـلامـة الحافظ صاحب كتاب «السنة والصفات» و «الجامع» و «دلائل النبوة» توفي سنة ٤٣٤هـ(٤).

ـ وأبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسىٰ البيهقي الإمام الحافظ العلامة شيخ خراسان، والذي قال فيه الذهبي: «عمل كتبًا لم يسبق إلى تحريرها»، منها: «الأسماء والصفات» وهو مجلدان، «والسنن الكبير» عشر مجلدات، و «السنن والآثار» و «شعب الإيمان» و «دلائل النبوة» و «السنن الصغيرة» و «البعث والمعتقد» وغيرها، توفى سنة ٤٥٨هـ وغيرهم. هذه

(١) انظر: طبقات الحنابلة: ٢/ ١٣٤ ـ ١٥٣، المنهج الأحمد ص٦٩ ـ ٧٣ (وسماه فيه عبدالله).

(٢) انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/١٠٩٨، الديباج المذهب ص٣٩ ـ ٤٠، بغية الملتمس: ص١٥١، شذرات الذهب: ٣/٢٤٣ ـ ٢٤٤.

(٣) انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/١٠٩٢، لسان الميزان, ١/٢٠١،٢٠٢، البداية والنهاية: ١٢/٤٥.

(٤) انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/١١٠٣، تاريخ التراث: ١/٣٨٨.

طائفة من مصنفات الأئمة وآثارهم تؤكد وحدة اعتقادهم لإعتمادهم[1] على المأثور عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما مجمل اعتقاد الأئمة فهو «الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

أما سرد جمل الاعتقاد عنهم فيكفي الإحالة إلى بعض المصادر التي ذكرناها آنفًا، ولا سيما أن كل واحد من الأئمة يقول: «إذا صح الحديث فهو مذهبي» فقولهم واعتقادهم هو قول الله ورسوله، ولكن من باب تشريف هذه الرسالة بجمل من اعتقادهم وتعطيرها بنبذ من أقوالهم نشير إلى درر من مقالاتهم ولمع من كلامهم، مع العلم بأن الاعتقاد لا يؤخذ عنهم بل يؤخذ عن الله ورسوله.

قال أحد الأئمة: «أما الاعتقاد فلا يؤخذ عني ولا عمن هو أكبر مني بل يؤخذ عن الله ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه سلف الأمة فما كان في القرآن وجب اعتقاده، وكذلك ما ثبت في الأحاديث الصحيحة مثل صحيح البخاري ومسلم[2].

بل إن الأئمة ما كانوا يدعون في باب الاعتقاد إلى مذهب حنبلي أو مالكي، قال بعض أئمة الحنابلة (مع أني في عمري إلى ساعتي هذه لم أدع قط في أصول الدين إلى مذهب حنبلي وغير حنبلي ولا انتصرت لذلك ولا أذكره في كلامي، ولا أذكر إلا ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها[3].

هذا وقد اعتنى بعض العلماء بجمع كلام بعض الأئمة في الاعتقاد كما فعل الخلال حين جمع نصوص أحمد وكلامه في الاعتقاد، ونسج على

---

(١) انظر: تذكرة الحفاظ: ٣/١١٣٢، طبقات الشافعية: ٤/٨ - ١٦، مرآة الجنان: ٣/٨١ - ٨٢، شذرات الذهب: ٣/٣٠٤ - ٣٠٥.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: ٣/١٦١.

(٣) المصدر السابق: ٣/٢٢٩.

منواله البيهقي في تدوين نصوص الشافعي في هذا الشأن في كتابه الذي سماه «جامع النصوص من كلام الشافعي»(١)، والطحاوي حكى أقوال الإمام أبي حنيفة وصاحبه في رسالة تسمى «العقيدة الطحاوية» وحاول بعض المعاصرين السير على هذه الطريقة(٢).

إعتقاد الإمام أبي حنيفة (٣):

لعل أكمل وأوثق نص منقول في اعتقاد الإمام نص الإمام الطحاوي المتوفى سنة ٣٢١هـ، الذي حكىٰ مذهب الإمام وصاحبيه في الاعتقاد في رسالة تسمىٰ «العقيدة الطحاوية» أو «بيان السنة».

وسأثبت نصها من نسخة الشيخ **عبدالله بن حميد** التي قابلها على نسخ أخرىٰ وعلق عليها. والداعي لنشرها هنا أهمية النص وتلقي الأمة له بالقبول في الجملة، ثم إن هذا النص المنشور قد أشرف على مقابلته وعلق عليه العلامة ابن حميد في طبعة قل تداولها ونفدت نسخها، ثم أخيراً حاجة هذا الموضوع لمثل هذا النص المتكامل الذي يمثل اعتقاد الأئمة، والله المستعان!!

---

(١) انظر لوامع الأنوار: ١/٦٦.

(٢) مثل ما كتبه عبدالله الجاسر في رسالته للدكتوراه بعنوان «أصول الدين عند الإمام أحمد» ومحمد الخميس في رسالته للدكتوراه أيضًا بعنوان «أصول الدين عند الإمام أبي حنيفة».

(٣) وهو لا يختلف عن اعتقاد سائر الأئمة في مسائل أصول الدين باستثناء مسألة الإيمان، مع أن بعض أهل العلم كشارح الطحاوية يرى أن الخلاف بينه وبين سائر الأئمة لفظي، راجع لتفصيل الاعتقاد للإمام الرسالة القيمة لـ: د. محمد آل خُمَيس «اعتقاد الإمام أبي حنيفة في أصول الدين».

بيـــان الســـنة

٢ ـ عقيدة الامام أبي جعفر أحمد ابن محمد بن سلامة الطحاوي

المتوفي سنة ٣٢١ قدس الله روحه ونور ضريحه

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ الإمام الفقيه علم الأنام حجة الإسلام أبو جعفر الوراق الطحاوي المصري رحمه الله هذا ذكر بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري وأبي عبدالله محمد بن الحسن الشيباني رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصول الدين ويدينون به لرب العالمين:

نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله تعالى واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره، قديم[1] بلا ابتداء، دائم بلا انتهاء، لا يفنى ولا يبيد، ولا يكون إلا ما يريد، لا تبلغه الأوهام، ولا تدركه الأفهام، ولا يشبهه الأنام، حي لا يموت، قيوم لا ينام، خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة، مميت بلا مخافة، باعث بلا مشقة، مازال بصفاته قديمًا قبل خلقه لم يزدد بكونهم شيئًا لم يكن قبلهم من صفاته، وكما كان بصفاته أزليا كذلك لا يزال عليها أبديا، ليس منذ خلق الخلق استفاد اسم الخالق، ولا بإحداثه البرية استفاد اسم الباري، له معنى الربوبية ولا مربوب، ومعنى الخالقية ولا مخلوق، وكما أنه محي الموتى بعدما

---

(١) لو عبر المصنف رحمه الله بأنه الأول كما نص عليه القرآن في قوله تعالى: «هو الأول والآخر» الآية ونص عليه المعصوم، ﷺ، بقوله: «اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء إلخ» لكان أولى.

أحيا استحق هذا الاسم قبل إحيائهم، كذلك استحق اسم الخالق قبل إنشائهم، ذلك بأنه على كل شيء قدير، وكل شيء اليه فقير، وكل أمر عليه يسير، لا يحتاج إلى شيء، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، خلق الخلق بعلمه، وقدر لهم أقدارًا، وضرب لهم آجالا، لم يَخْفَ عليه شيء قبل أن (يخلقهم) وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيء يجري بقدرته ومشيئته، ومشيئته تنفذ لا مشيئة للعباد إلا ما شاء لهم فما شاء لهم كان وما لم يشأ لم يكن، يهدي من يشاء، ويعصم ويعافي فضلاً، ويضل من يشاء، ويخذل ويبتلي من يشاء عدلاً، وكلهم يتقلبون في مشيئته بين فضله وعدله لا رادَّ لقضائه، ولا معقب لحكمه، ولا غالب لأمره.

آمنا بذلك كله، وأيقنا أن كلا من عنده، وأن محمدًا، صلى الله عليه وسلم عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى، خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين[١]، وكلّ دعوة نبوة بعد نبوته فغي وهوى، وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهدى (والنور والضياء)[٢]، وإن القرآن كلام الله تعالى بدأ بلا كيفية قولا، وأنزله على نبيه وحياً وصدقه المؤمنون على ذلك حقًّا، وأيقنوا أنه كلام الله تعالى بالحقيقة وليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد كفر، وقد ذمه الله وعابه وأوعده عذابه حيث قال تعالى: ﴿**سأصليه سقر**﴾ فلما أوعد الله بسقر لمن قال: ﴿**إن هذا إلا قولُ البشر**﴾ علمنا (وأيقنا)[٣] أنه قول

---

(١) لو قال: وخليل رب العالمين لكان هو المتعين لثبوته بالنص لأن الخلة أخص من المحبة كما هي أعلا درجات المحبة ولئلا يتوهم أن الخلة لإبراهيم والمحبة لمحمد، ﷺ، كما قال بعضهم وهذا قول باطل.

(٢) مابين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٣) وفي نسخة: بزيادة: وأيقنا.

خالق البشر، ولا يشبه قول البشر، ومن وصف الله تعالى بمعنى من معاني البشر فقد كفر، فمن أبصر هذا فقد اعتبر، وعن مثل قول الكفار انزجر، وعلم أن الله تعالى بصفاته ليس كالبشر، والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا ﴿وجوهٌ يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم فهو كما قال، ومعناه على ما أراد، ولا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا، فإنه ما سلم في دينه إلا من أسلم لله عز وجل ولرسوله، صلى الله عليه وسلم، ورد علم ما اشتبه عليه إلى عالمه، ولا يثبت قدم الإسلام إلا على ظهر التسليم والاستسلام، فمن رام علم ما حظر عنه علمه، ولم يقنع بالتسليم فهمه، حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة وصحيح الإيمان، فيتذبذب بين الكفر والإيمان، والتصديق والتكذيب، والإقرار والإنكار، موسوسا تائهًا شاكا زائغًا، لا مؤمنا مصدقًا ولا جاحدًا مكذبًا، ولا يصح الإيمان بالرؤية لأهل دار السلام لمن اعتبرها منهم بوهم أو تأولها بفهم، إذ كان تأويل الرؤية وتأويل كل معنى يضاف إلى الربوبية بترك التأويل ولزوم التسليم وعليه دين المرسلين، ومن لم يتوقَّ النفي والتشبيه زلَّ ولم يصب التنزيه، فإن ربنا جل وعلا موصوف بصفات الوحدانية، منعوت بنعوت الفردانية، ليس بمعناه أحد من البرية، تعالى عن الحدود[1] والغايات، والأركان والأعضاء

---

(١) قوله: (تعالى عن الحدود) إلى قوله (والمعراج) هذه الألفاظ من الألفاظ المبتدعة المحتملة للحق والباطل فلا يجوز اطلاق نفيها أو إثباتها على الله تعالى كما هي طريقة السلف فإن طريقة السلف الصالح إثبات ما أثبته لنفسه سبحانه أو أثبته له رسوله، ﷺ، ونفي مانفاه عن نفسه سبحانه ونفاه عنه رسوله والسكوت عما عدى ذلك نفيا واثباتًا.

والأدوات، لا تحويه الجهات الستّ كسائر المبتدعات، والمعراج حق وقد أسري بالنبي، صلى الله عليه وسلم وعرج بشخصه في اليقظة إلى السماء، ثم إلى حيث شاء الله العلي وأكرمه سبحانه وتعالى بما شاء، وأوحى إلى عبده ما أوحى، والحوض الذي أكرمه الله تعالى به غياثا لأمته حق، والشفاعة التي ادخرها لهم حق، كما روي في الأخبار والميثاق الذي أخذه الله تعالى من آدم عليه السلام وذريته، حق، وقد علم الله فيما لم يزل عدد من يدخل الجنة ويدخل النار جملة واحدة، ولا يزاد في ذلك العدد ولا ينقص منه، وكذلك أفعالهم فيما علم منهم أن يفعلوه، وكل ميسر لما خلق له، والأعمال بالخواتم، والسعيد من سعد بقضاء الله، والشقي من شقي بقضاء الله، وأصل القدر سر الله في خلقه، لم يطلع على ذلك ملك مقرب، ولا نبي مرسل، والتعمق والنظر في ذلك ذريعة الخذلان، وسلم الحرمان، ودرجة الطغيان، فالحذر كل الحذر من ذلك نظرًا وفكرًا ووسوسة، فإن الله طوى علم القدر عن أنامه، ونهاهم عن مرامه، كما قال تعالى: ﴿**لا يسأل عما يفعل وهم يسئلون**﴾ فمن سأل لم فعل فقد رد حكم الكتاب، ومن رد حكم الكتاب، كان من الكافرين، فهذه جملة ما يحتاج إليه من هو منور قلبه من أولياء الله تعالى، وهي درجة الراسخين في العلم، لأن العلم علمان: علم في الخلق موجود، وعلم في الخلق مفقود، فإنكار العلم الموجود كفر وادعاء العلم المفقود كفر ولا يصح[1] الإيمان إلاّ بقبول العلم الموجود، وترك طلب العلم المفقود، ونؤمن باللوح والقلم وبجميع ما فيه قد رقم، فلو اجتمع الخلق كلهم على شيء كتبه الله تعالى فيه أنه كائن ليجعلوه غير كائن لم يقدروا عليه، ولو اجتمعوا كلهم على ما لم يكتبه الله فيه ليجعلوه كائنا لم يقدروا عليه، جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة وما أخطأ العبد لم يكن

(١) وفي نسخة: يثبت بدل يصح.

ليصيبه، وما أصابه لم يكن ليخطئه، وعلى العبد أن يعلم أن الله سبق علمه في كل كائن من خلقه فقدر ذلك بمشيئته تقديرًا محكمًا مبرمًا، ليس له ناقض ولا معقب ولا مزيل ولا مغير ولا محول ولا زائد ولا ناقص من خلقه في سماواته وأرضه، ولا يكون مكون إلا بتكوينه، والتكوين لا يكون إلا حسنا جميلاً، وذلك من عقد الإيمان وأصول المعرفة والاعتراف بتوحيد الله وربوبيته كما قال الله تعالى: ﴿**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**﴾. وقال تعالى: ﴿**وكان أمر الله قدرا مقدورا**﴾ فويل لمن صار لله في القدر خصيما، وأحضر للنظر فيه قلبًا سقيمًا، لقد التمس بوهمه في فحص الغيب سرًا كتيما، وعاد بما قال فيه أفاكا أثيمًا، والعرش والكرسي حق كما بين الله تعالى في كتابه، وهو جل جلاله مستغن عن العرش وما دونه، محيط بكل شيء وفوقه وقد أعجز عن الإحاطة خلقه، ونقول إن الله تعالى اتخذ إبراهيم خليلاً، وكلم موسى تكليمًا، إيمانًا وتصديقًا وتسليمًا، ونؤمن بالملائكة والنبيين والكتب المنزلة على المرسلين ونشهد أنهم على الحق المبين، ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين، ماداموا بما جاء به النبي، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله معترفين، وله بكل ما قال وأخبر مصدقين، ولا نخوض في الله ولا نماري في الدين، ولا نجادل في القرآن ونعلم أنه كلام رب العالمين، نزل به الروح الأمين فعلمه سيد المرسلين محمدًا، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله أجمعين، وكلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين، ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين، ولا نكفر أحدًا من أهل القبلة بذنب مالم يستحله، ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله، ونرجو للمحسنين أن يعفو عنهم، ولا نأمن عليهم ولا نشهد لهم بالجنة، ونستغفر لمسيئهم، ونخاف عليهم، ولا نقنطهم، والأمن والإياس سبيلان عن الملة، وسبيل الحق بينهما لأهل القبلة، ولا نخرج العبد من الإيمان إلا بجحود ما أدخله فيه، والإيمان هو

الإقرار باللسان والتصديق بالجنان[١]، وأن جميع ما أنزل الله تعالى في القرآن وجميع ما صح عن رسول الله من الشرع والبيان كله حق، والإيمان واحد وأهله في أصله سواء[٢]، والتفاضل بينهم بالخشية والتقوى ومخالفة الهوى وملازمة الأولى، والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم أطوعهم بالتقى والمعرفة وأتبعهم للقرآن، والإيمان هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والبعث بعد الموت والقدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى ونحن مؤمنون بذلك كله لا نفرق بين أحد من رسله ونصدقهم كلهم على ما جاءوا به وأهل الكبائر (من أمة محمد)[٣]، في النار لا يخلدون إذا ماتوا، وهم موحدون وإن لم يكونوا تائبين بعد أن لقوا الله ـ عز وجل ـ عارفين وهم في مشيئته وحكمه، إن شاء غفر لهم وعفا عنهم بفضله كما ذكر الله ـ عز وجل ـ في كتابه ﴿**ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾ وإن شاء عذبهم في النار بقدر جنايتهم بعدله ثم يخرجهم منها برحمته وشفاعة الشافعين من أهل طاعته، ثم يبعثهم إلى جنته ذلك بأن الله جل جلاله مولى لأهل معرفته، ولم يجعلهم في الدارين كأهل نكرته الذين خابوا من هدايته ولم ينالوا من ولايته اللهم يا ولي الإسلام وأهله مسِّكنا بالإسلام حتى نلقاك به، ونرى الصلاة خلف كل بر وفاجر من أهل القبلة، وعلى من مات منهم ولا ننزل أحدًا منهم جنة ولا نارا، ولا نشهد عليهم بكفر ولا بشرك ولا بنفاق مالم يظهر منهم شيء من ذلك، ونذر سرائرهم إلى الله تعالى ولا نرى السيف على أحد من أمة

---

(١) اقتصاره على قوله (والإيمان هو الاقرار باللسان والتصديق بالجنان). ذهب المصنف إلى القول بهذا تبعاً لإمامه أبي حنيفة ومذهب الأئمة الثلاثة وجمهور السلف أنه التصديق بالجنان والاقرار باللسان والعمل بالأركان.

(٢) قوله: (الإيمان واحد وأهله في أصله سواء) بل الصحيح إنهم يتفاضلون تفاضلاً كثيرًا.

(٣) مابين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

محمد، صلى الله عليه وسلم، إلا من وجب عليه السيف ولا نرى الخروج على أئمتنـا وولاة أمـورنا وإن جاروا، ولا نَدْعُ عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم ونـرى طاعتهم، من طاعـة الله - عز وجـل - فريضة مالم يأمروا بمعصية ونـدعـو لهم بالصـلاح والمعـافاة، ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة، ونحب أهل العدل والأمانة، ونبغض أهل الجور والخيانة ونقول الله أعلم فيما اشتبه علينا علمه.

ونرى المسح على الخفين في السفر والحضر كما جاء في الأثر، والحج والجهاد فرضان ماضيان مع أولي الأمر من أئمة المسلمين برهم وفاجرهم إلى يوم القيامة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما، ونؤمن بالكرام الكاتبين وأن الله تعالى قد جعلهم علينا حافظين، ونؤمن بملك الموت الموكل بقبض أرواح العالمين، ونؤمن بعذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وبسؤال منكر ونكير للميت في قبره عن ربه ودينه ونبيه على ما جاءت به الأخبار عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعن أصحـابه رضي الله عنهم أجمعين والقبر روضـة من رياض الجنـة أو حفرة من حفر النيران، ونؤمن بالبعث وجزاء الأعـمال يوم القيامة، والعرض والحساب وقراءة الكتب والثواب والعقاب والصراط والميزان، البعث وهو حشر الأجساد وإحياؤها يوم القيامة حق، والجنة والنار مخلوقتان لا يفنيان أبدًا ولا يبيدان، وأن الله تعالى خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهما أهلاً فمن شاء منهم للجنة فضلاً منه ومن شاء منهم للنار عدلاً منه وكل يعمل لما قد فرغ منه وصائر إلى ما خلق له والخير والشر مقـدران على العبـاد والاستطاعة ضربان: أحدهما الاستطاعة التي يوجد بها الفعل من نحو التوفيق الذي لا يجوز أن يوصف المخلوق به فهي مع الفعل، وأما الاستطاعة التي من جهة الصحة والوسع والتمكن وسلامه

الآلات فهي قبل الفعل، (وبها يتعلق الخطاب)[1] وهو كما قال الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفسًا إلا وسعها﴾ وأفعال العباد (هي)[2] خلق الله وكسب (من)[3] العباد، ولم يكلفهم الله إلا ما يطيقون، ولا يطيقون إلا ما كلفهم، وهو تفسير لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، نقول لا حيلة لأحد ولا حول لأحد ولا حركة لأحد عن معصية الله، إلا بمعونة الله ولا قوة لأحد على إقامة طاعة الله والثبات عليها إلا بتوفيق الله وكل شيء يجري بمشيئة الله وعلمه وقضائه، فغلبت مشيئته المشيئات كلها، وغلب قضاءه الحيل كلها، يفعل الله ما يشاء وهو غير ظالم أحدًا لا يسأل عما يفعل وهم يُسألون، وفي دعاء الأحياء وصدقتهم منفعة للأموات، والله يستجيب الدعوات، ويقضي الحاجات، ويملك كل شيء، ولا يملكه شيء ولا غنى عن الله طرفة عين، ومن استغنى عن الله طرفة عين فقد كفر وكان من أهل الحين، والله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى ونحب أصحاب رسول الله ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بالخير وحبهم دين وإيمان وإحسان وبغضهم كفر ونفاق وطغيان، ونثبت الخلافة بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أولًا لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلًا له وتقديمًا على جميع الأمة ثم لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم لعثمان رضي الله عنه ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه وهم الخلفاء الراشدون، الأئمة المهديون، وأن العشرة الذين سماهم رسول الله (وبشرهم بالجنة)[4] نشهد لهم بالجنة، على ما شهد لهم رسول الله وقوله الحق وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة،

(١) و (٢) و (٣) مابين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٤) مابين القوسين: من نسخة أخرى.

والـزبـير، وسعـد، وسعيد، وعبـدالرحمن بن عوف، وأبو عبيدة عامر بن الجراح، وهو أمين هذه الأمة رضي الله عنهم أجمعين، ومن أحسن القول في أصحــاب رسـول الله وأزواجـه (**الـطاهـرات من كل دنس**)(١) وذرياتـه (**المقـدسين من كل رجس**)(٢) فقد بريء من النفاق، وعلماء السلف من الصـالحين السابقين، والتابعين ومن بعدهم من أهل الخير والأثر، وأهل الفقـه والنـظر، لا يُذكرون إلا بالجميل، ومن ذكرهم بسوء فهو على غير السبيل، ولا نفضل أحدًا من الأولياء على الأنبياء، ونقول نبي واحد أفضل من جميع الأولياء، ونؤمن بما جاء من كرامـاتهم وصـح عن الثقـات من رواياتهم، ونؤمن (**بأشراط الساعة من**)(٣) خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليهـما السـلام من السماء، ونؤمن بخروج يأجوج ومأجوج، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها ولا نصدق كاهنا ولا عرافًا ولا من يدعي شيئًا يخالف الكتاب والسنة وإجماع الأمة ونرى الجـماعة حقًا وصوابًا والفرقة زيغًا وعذابًا ودين الله ـ عز وجل ـ في السماء والأرض واحد وهو دين الإسلام قال تعالى: ﴿**إن الدين عند الله الإسلام**﴾ وقـال تعـالى: ﴿**ورضيتُ لكم الإسـلام دينا**﴾ وهو بين الغلو والتقصير، والتشبيه والتعـطيل، وبـين الجـبر والقدر، وبين الأمن واليأس فهذا ديننا واعتقادنا ظاهرًا وباطنًا ونحن براء إلى الله تعالى من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه ونسأل الله تعالى أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهـواء المختلفـة، والآراء المتفـرقـة، والمـذاهب الـردية مثل المشبهه (والمعتزلة)(٤) والجهمية والجبرية والقدرية وغيرهم من الذين خالفوا (السنة

(١) مابين القوسين: من نسخة أخرى.

(٢) مابين القوسين: من نسخة أخرى.

(٣) مابين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

(٤) مابين القوسين: زيادة من نسخة أخرى.

و)(١) الجماعة وحالفوا الضلالة، ونحن براء منهم، وهم عندنا ضُلَّال أردياء، والله الموفق وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين(٢).

جمل من اعتقاد الإمام مالك:

أُثِر عنه ـ رحمه الله أنه قال:

«. . **التوحيد ما قاله النبي**، صلى الله عليه وسلم: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله**»(٣) فما عصم به المال والدم حقيقة التوحيد» (٤).

و «**الله في السماء وعلمه في كل مكان**»(٥) و «القرآن كلام الله وكلام الله منه وليس من الله شيء مخلوق»(٦) و «من قال القرآن مخلوق يوجع ضربًا ويحبس حتى يتوب» (٧).

و«**القدرية**» وهم الذين يقولون إن الاستطاعة إليهم إن شاؤا أطاعوا وإن شاؤا عصوا»(٨).

---

(١) مابين القوسين: زيادة من نسخة أخرى

(٢) النسخة التي اعتمدناها أصلا لطبع هذه الرسالة هي مطبوعة المطبعة الشرقية بجدة المؤرخة في ١٣٤٤/١١/٢٣هـ وقد عارضناها بنسخ أخرى. اهـ. كلام سماحة المشرف على تحقيق طبع هذه المجموعة.

(٣) أخرجه البخاري: ٢٦٢/٣، ومسلم: ٥١/١ وغيرهما.

(٤) ذم الكلام للهروي (عن صون المنطق ص٦٣).

(٥) انظر: مسائل الإمام أحمد لأبي داود ص٣٦٣ السنة للإمام عبدالله: ١٠٧/١.

(٦) ترتيب المدارك: ١٧٤/١، سير أعلام النبلاء: ١٠١/٨.

(٧) السنة للإمام عبدالله: ١٠٧/١، الانتقاء: ص٣٥، ترتيب المدارك: ١٧٤/١، سير أعلام النبلاء: ١٠٢/٨.

(٨) ترتيب المدارك: ٤٨/٢، شرح اعتقاد أهل السنة: ٧٠١/٢.

و«رأيي فيهم أن يُستتابوا فإن تابوا وإلا قتلوا»[١].

و «لا تجوز شهادة القدري الذي يدعو (يعني إلى بدعته) ولا الخارجي والرافضي»[٢].

و «الإيمان قول وعمل يزيد وينقص»[٣].

و «خير الناس بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم أبو بكر ـ ثم عمر ـ ثم الخليفة المقتول ظلمًا. . »[٤].

و «من تنقص أحدًا من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أو كان في قلبه غل فليس له حق في فيء المسلمين ﴿والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا﴾ [سورة الحشر، الآية: ١٠] فمن تنقصهم أو كان في قلبه عليهم غل فليس له في الفيء حق»[٥].

و«من أصبح في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم فقد أصابته الآية: ﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعًا سجدًا يبتغون فضلاً من الله ورضوانًا سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطئه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار﴾ [سورة الفتح، الآية: ٢٩][٦].

(١) انظر: السنة لابن أبي عاصم: ١/٨٧ ـ ٨٨، الحلية لأبي أبي نعيم ٦/٣٢٦، سير أعلام النبلاء ٨/١٠٠.

(٢) ترتيب المدارك: ٢/٤٧.

(٣) الانتقاء ص٣٤، ترتيب المدارك ١٠/١٧٣ ـ ١٧٤.

(٤) ينظر ترتيب المدارك: ٢/٤٤ ـ ٤٥.

(٥) حلية الأولياء: ٦/٣٢٧.

(٦) حلية الأولياء: ٦/٣٢٧.

و«الكلام في الدين أكرهه، ولم يزل أهل بلدنا يكرهونه وينهون عنه، نحو الكلام في رأي جهم والقدر وكل ما أشبه ذلك، ولا يجب الكلام إلا فيما تحته عمل، فأما الكلام في دين الله وفي الله ـ عز وجل ـ فالسكوت أحب إليّ لأني رأيت أهل بلدنا ينهون عن الكلام في الدين إلا فيما تحته عمل»[١].

إياكم والبدع وأهل البدع الذين يتكلمون في أسمائه وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون»[٢].

اعتقاد الإمام الشافعي:

قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ «الحمد لله . . الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصفه به خلقه»[٣].

«القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف يشاء وأن الله تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»[٤].

«نثبت هذه الصفات التي جاء بها القرآن ووردت بها السنة وننفي التشبيه عنه كما نفى عن نفسه فقال: ليس كمثله شيء»[٥].

«لله تبارك وتعالى أسماء وصفات جاء بها كتابه وخبر بها نبيه، صلى الله عليه وسلم أمته، لا يسع أحدًا من خلق الله ـ عز وجل ـ قامت لديه

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر ص٤١٥ وينظر شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/١٤٨ - ١٤٩ صون المنطق ص: ١٢٠.
(٢) عقيدة السلف للصابوني: ٥٤.
(٣) الرسالة ص٧، ٨.
(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية: ص: ١٦٥، وانظر: إثبات صفة العلو لابن قدامة، ص٣١، الفتاوى: ٤/١٨٢ ـ ١٨٣، العلو للذهبي ص١٢٠.
(٥) سير أعلام النبلاء: ٢٠/٣٤١.

الحجة أن القرآن نزل به ووضح عنده قول النبي، صلى الله عليه وسلم، فيما روى عنه العدل فإن خالف ذلك بعد ثبوت الحجة عليه فهو كافر بالله ـ عز وجل ـ وأما قبل ثبوت الحجة عليه من جهة الخبر فمعذور بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا بالدراية والفكر ونحو ذلك أخبار الله - عز وجل - أنه سميع وأن له يدين بقوله ـ عز وجل ـ ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ [سورة المائدة، آية: ٦٤]، وأن له يمينًا بقوله عز وجل: ﴿والسموات مطويات بيمينه﴾[سورة الزمر، آية: ٦٧]، وإن له وجهًا بقوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [سورة القصص، آية: ٨٨]، وقوله: ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [سورة الرحمن، الآية: ٢٧]. . . . الخ[(١)]».

و «**إن مشيئة العباد** هي إلى الله تعالى، ولا يشاؤن إلا أن يشاء الله رب العالمين لم يخلقوا أعمالهم وهي خلق من خلق الله تعالى أفعال العباد، وأن القدر خيره وشره من الله ـ عز وجل ـ وأن عذاب القبر حق ومساءلة أهل القبور حق والبعث حق والحساب حق والجنة والنار حق وغير ذلك مما جاءت به السنن»[(٢)].

و «**الإيمان قول وعمل واعتقاد بالقلب**، ألا ترى قول الله عز وجل: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾ [سورة البقرة، آية: ١٤٣]، يعني صلاتكم إلى بيت المقدس فسمىٰ الصلاة إيمانًا وهي قول وعمل وعقد»[(٣)].

و «**الإيمان قول وعمل يزيد وينقص**»[(٤)].

و «. . . **الإيمان بالله** الذي لا إله إلا هو، أعلى الأعمال درجة، وأشرفها

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي: ١/٤١٢-٤١٣، شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ٢/٧٠٢، وانظر: اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥.

(٢) مناقب الشافعي ١/٤١٥.

(٣) الانتقاء ص: ٨١.

(٤) مناقب الشافعي: ١/٣٨٥، مناقب الشافعي لابن كثير١٩٣؛ توالي التأسيس ص٦٤ سير أعلام النبلاء: ١٠/٣٢، تهذيب الأسماء واللغات: ١/٦٦.

منزلة وأسناها حظًا . . إن للإيمان حالات ودرجات وطبقات فمنها: التام المنتهي تمامه، والناقص البين نقصانه، والراجح الزائد رجحانه. . إن الله جل ذكره فرض الإيمان على جوارح بني آدم فقسمه فيها، وفرقه عليها فليس من جوارحه جارحة إلا وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها بفرض من الله تعالى.

فمنها: قلبه الذي يعقل به، ويفقه ويفهم وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره.

ومنها: عيناه اللتان ينظر بهما، وأذناه اللتان يسمع بهما، ويداه اللتان يبطش بهما، ورجلاه اللتان يمشي بهما، وفرجه الذي الباَهُ من قبله ولسانه الذي ينطق به، ورأسه الذي فيه وجهه.

فرض على القلب غير ما فرض على اللسان، وفرض على السمع غير ما فرض على العينين وفرض على اليدين غير ما فرض على الرجلين وفرض على الفرج غير ما فرض على الوجه.

فأما فرض الله على القلب من الإيمان: فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن الله لا إله إلا هو وحده لا شريك له، لم يتخذ صاحبة ولا ولدًا وأن محمدًا، صلى الله عليه وسلم، عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب فذلك ما فرض الله جل ثناؤه على القلب وهو عمله:

﴿إلا من أُكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرًا﴾ [سورة النحل، آية:١٠٦] وقال: **﴿ألا بذكر الله تطمئنّ القلوب﴾**[سورة الرعد، آية:٢٨]، وقال: **﴿من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾**، وقال: **﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله﴾**، فذلك ما فرض الله على القلب من الإيمان، وهو عمله، وهو رأس الإيمان.

«**وفرض [الله] على اللسان:** القول والتعبير عن القلب بما عقد وأقر

به، فقال في ذلك: ﴿قولوا آمنا بالله﴾ [سورة البقرة، آية: ١٣٦]. وقال: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾[سورة البقرة، آية: ٨٣]، فذلك ما فرض الله على اللسان من القول، والتعبير عن القلب، وهو عمله، والفرض عليه من الإيمان.

وفرض الله على (السمع): أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يغضي عما نهى الله عنه، فقال في ذلك: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾[سورةالنساء، آية: ١٤٠]، ثم استثنى موضع النسيان، فقال جل وعز: ﴿وإما ينسينك الشيطان﴾ أي: فقعدت معهم ﴿فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[سورة الأنعام، آية: ٦٨]، وقال: ﴿فبشر عباد. الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ [سورة الزمر، الآيتان: ١٧، ١٨]، وقال: ﴿قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ إلى قوله ﴿للزكاة فاعلون﴾[سورة المؤمنون، الآيات من ١-٤]، وقال: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾[سورة القصص، آية: ٥٥] وقال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾ فذلك ما فرض الله، جل ذكره، على السمع من التنزيه عما لا يحل له، وهو عمله، وهو من الإيمان.

و «فرض على العينين»: ألا ينظر بهما إلى ما حرم الله، وأن يغضيهما عما نهاه عنه، فقال تبارك وتعالى، في ذلك: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾[سورة النور، الآيتان ٣٠، ٣١] أن ينظر أحدهم إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه من أن ينظر إليه.

وقال: كل شيء من حفظ الفرج، في كتاب الله، فهو من الزنا إلا هذه الآية، فإنها من النظر.

فذلك ما فرض الله على العينين من غضِّ البصر، وهو عملهما، وهو من الإيمان.

ثم أخبر عما فرض على القلب والسمع والبصر، في آية واحدة، فقال، سبحانه وتعالى، في ذلك: ﴿**ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولاً**﴾[سورة الإسراء، الآية: ٣٦]، قال: يعني وفرض على الفرج: أن لا يهتكه بما حرم الله عليه: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾[سورة المؤمنون، آية: ٥]، وقال: ﴿**وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم**﴾ الآية، يعني بالجلود: الفروج والأفخاذ فذلك ما فرض الله على الفروج من حفظها عما لا يحل له، وهو عملها.

«**وفرض على اليدين**»: ألا يبطش بهما «إلى ما حرم الله تعالى، وأن يبطش بهما» إلى ما أمر الله من الصدقة وصلة الرحم، والجهاد في سبيل الله، والطهور للصلوات، فقال في ذلك: ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**﴾[سورة المائدة، آية: ٦]، إلى آخر الآية. وقال: ﴿**فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداء**﴾[سورة محمد، آية: ٤]، لأن الضرب، والحرب، وصلة الرحم، والصدقة من علاجها.

(**وفرض على الرجلين**) ألا يمشي بهما إلى ما حرم الله، جل ذكره، فقال في ذلك: ﴿**ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً**﴾[سورة الإسراء، آية: ٣٧].

«**وفرض على الوجه**»: السجود لله بالليل والنهار، ومواقيت الصلاة، فقال في ذلك: ﴿**ياأيها الذين أمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون**﴾[سورة الحج، آية: ٧٧]، وقال: ﴿**وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدًا**﴾[سورة الجن، آية: ١٨] يعني بالمساجد: ما يسجد عليه ابن آدم في صلاته، من الجبهة وغيرها.

قال: فذلك ما فرض الله على هذه الجوارح.

وسمى الطهور والصلوات إيمانًا في كتابه، وذلك حين صرف الله، تعالى وجه نبيه، صلى الله عليه وسلم، من الصلاة إلى بيت المقدس، وأمره بالصلاة إلى الكعبة. وكان المسلمون قد صلوا إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا، فقالوا: يا رسول الله، أرأيت صلاتنا التي كنا نصليها إلى بيت المقدس، ما حالها وحالنا؟.

فأنزل الله تعالى: ﴿**وما كان الله ليضيع إيمانكم إن الله بالناس لرؤوف رحيم**﴾[سورة البقرة، آية:١٤٣]، فسمى الصلاة إيمانًا، فمن لقي الله حافظًا لصلواته، حافظًا لجوارحه، مؤديًا بكل جارحة من جوارحه ما أمر الله به وفرض عليها - لقي الله مستكمل الإيمان من أهل الجنة، ومن كان لشيء منها تاركًا متعمدًا مما أمر الله به - لقي الله ناقص الإيمان. قال: وقد عرفت نقصانه وإتمامه، فمن أين جاءت زيادته؟

قال الشافعي: قال الله، جل ذكره: ﴿**وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانًا فأما الذين آمنوا فزادتهم إيمانًا وهم يستبشرون، وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسًا إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون**﴾[سورة التوبة، الآيتان ١٢٤،١٢٥]، وقال: ﴿**إنهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى**﴾[سورة الكهف، آية:١٣].

قال الشافعي: ولو كان هذا الإيمان كله واحدًا لا نقصان فيه ولا زيادة - لم يكن لأحد فيه فضل، واستوى الناس، وبطل التفضيل. ولكن بتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله [في الجنة]، وبالنقصان من الإيمان دخل المفرطون النار.

قال الشافعي: إن الله، جل وعز، سَابَق بين عباده كما سُوبِقَ بين الخيل يوم الرهان، ثم إنهم على درجاتهم من سبق عليه، فجعل كل أمرىء

على درجة سبقه لا ينقصه فيها حقه، ولا يقدم مسبوق على سابق ولا مفضول على فاضل، وبذلك فضل أول هذه الأمة على آخرها.

ولو لم يكن لمن سبق إلى الإيمان فضل على من أبطأ عنه ـ للحق آخر هذه الأمة بأولها(١).

وأثنى الله تبارك وتعالى على أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، في القرآن والتوراة والإنجيل وسبق لهم على لسان رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من الفضل ما ليس لأحد بعدهم، فرحمهم الله، وهنأهم بما أتاهم من ذلك ببلوغ أعلى منازل الصديقين والشهداء والصالحين، فهم أدوا إلينا سنن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وشاهدوه والوحي ينزل عليه، فعلموا ما أراد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عامًا وخاصًا وعزمًا وإرشادًا، وعرفوا من سنته ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم واجتهاد، وورع وعقل، وأمر استدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد وأولى بنا من آرائنا عندنا لأنفسنا(٢).

و «أفضل الناس بعد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم»(٣).

«خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حق قضاها الله في سمائه وجمع عليها قلوب أصحاب نبيه»(٤).

و «.. من قال الإيمان قول فهو مرجي، ومن قال أن: أن أبا بكر وعمر ليسا بإمامين فهو رافضي، ومن جعل المشيئة إلى نفسه فهو قدري»(٥).

---

(١) مناقب الشافعي للبيهقي: ١/٣٨٧ ـ ٣٩٣.

(٢) مناقب الشافعي ١/٤٤٢.

(٣) مناقب الشافعي: ١/٤٣٣.

(٤) انظر: الفتاوى: ٥/٥٣، ١٣٩، اجتماع الجيوش الإسلامية ص١٦٥.

(٥) سير أعلام النبلاء: ١٠/٣١.

و «لأن يبتلى الله المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خير من أن يبتليه بالكلام» (١).

«ولأن يلقى الله عز وجل المرء بكل ذنب - ما خلا الشرك بالله تبارك وتعالى - خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء» (٢).

و «ما رأيت أحدًا إرتدى شيئًا من الكلام فأفلح» (٣).

اعتقاد الإمام أحمد:

لعل أهم مصدر جمع أقوال الإمام أحمد في الاعتقاد هو الإمام الخلال ولاسيما في كتابه «السنة» **قال شيخ الإسلام ابن تيمية** «أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال هو الذي جمع نصوص أحمد في أصول الدين. . » [الفتاوي ١٢/٣٢٥] **وسنكتفي هنا** بنصين اثنين في معتقد الإمام أحدهما رسالة عبدوس بن مالك عن الإمام أحمد والتي رواها الإمام ابن أبي يعلىٰ في طبقات الحنابلة [١/٢٤١] **والإمام اللالكائي** في شرح أصول اعتقاد أهل السنة [١/١٥٦] **وابن الجوزي** في مناقب الإمام أحمد [ص ٢١٦] وغيرهم (٤).

ولتفصيل الاعتقاد ومصادره يرجع إلى كتاب «**المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة**» (٥).

روي **الإمام اللالكائي** بسنده عن عبدوس بن مالك قال: سمعت الإمام أحمد بن حنبل **يقول**: [أصول السنة عندنا: التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والاقتداء بهم وترك البدع وكل بدعة فهي ضلالة. . وترك الخصومات، وترك الجلوس مع أصحاب الأهواء

(١) مناقب الشافعي لابن أبي حاتم ص١٨٢، شرح أصول اعتقاد أهل السنة / اللالكائي: ١/١٤٦.

(٢) آداب الشافعي ص١٨٧، مناقب الشافعي لابن كثير ص١٨٥، توالى التأسيس ص٦٤، معيد النعم ص٢١، البداية: ١٠/٢٥٤ وغيرها.

(٣) الإبانة الكبرى ص٥٣٥ - ٥٣٦.

(٤) وذكرها أيضًا نعمان الألوسي في جلاء العينين ص٢٢٧، وابن بدران في المدخل إلى مذهب الإمام أحمد ص١٩.

(٥) جمع وتحقيق ودراسة عبدالإله الأحمدي.

وترك المراء والجدال والخصومات في الدين والسنة عندنا آثار رسول الله، والسنة تفسر القرآن وهي دلائل القرآن. وليس في السنة قياس ولا تضرب لها الأمثال ولا تدرك بالعقول ولا الأهواء وإنما هي الاتباع وترك الهوى.

ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلة لم يقبلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها: الإيمان بالقدر خيره وشره، والتصديق بالأحاديث فيه، والإيمان بها. لا يقال: لم؟ ولا كيف؟ إنما هو التصديق والإيمان بها. ومن لم يعرف تفسير الحديث ويبلغه عقله فقد كفي ذلك وأحكم له. فعليه بالإيمان به والتسليم له، مثل حديث الصادق المصدوق وما كان مثله في القدر، ومثل أحاديث الرؤية كلها. وإن نبت عن الأسماع واستوحش منها المستمع، فإنما عليه الإيمان بها، وأن لا يرد منها حرفًا واحدًا، وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات، وأن لا يخاصم أحدًا، ولا يناظر، ولا يتعلم الجدال. فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن مكروه منهى عنه. لا يكون صاحبه - إن أصاب بكلامه السنة - من أهل السنة، حتى يدع الجدال ويسلم، ويؤمن بالآثار. والقرآن كلام الله، وليس بمخلوق. ولا يضعف أن يقول: ليس بمخلوق، وأن كلام الله ليس ببائن منه، وليس شيء منه مخلوق. وإياك ومناظرة من أحدث فيه، وقال باللفظ وغيره. ومن وقف فيه فقال: لا أدري مخلوق أو ليس بمخلوق؟ وإنما هو كلام الله وليس بمخلوق.

والإيمان بالرؤية يوم القيامة، كما روى عن النبي، صلى الله عليه وسلم، في الأحاديث الصحاح. وأن النبي، صلى الله عليه وسلم، قد رأى ربه، فإنه مأثور عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، صحيح، قد رواه قتادة عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس، ورواه علي بن زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس. والحديث عندنا على ظاهره، كما جاء عن النبي، صلى الله عليه وسلم. والكلام فيه بدعة،

ولكن نؤمن به كما جاء على ظاهره، ولا نناظر فيه أحدًا. والإيمان بالميزان يوم القيامة، كما جاء «يوزن العبد يوم القيامة، فلا يزن جناح بعوضة» وتوزن أعمال العباد، كما جاء في الأثر[١]. والإيمان به والتصديق، والإعراض عمن رد ذلك، وترك مجادلته، وأن الله يكلم العباد يوم القيامة، ليس بينه وبينهم ترجمان، والإيمان به، والتصديق به. والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله، صلى الله عليه وسلم، حوضًا يوم القيامة ترد عليه أمته، عرضه مثل طوله، مسيرة شهر، آنيته عدد نجوم السماء، على ما صحت به الأخبار من غير وجه. والإيمان بعذاب القبر، وأن هذه الأمة تفتن في قبورها، وتسأل عن الإيمان والإسلام. ومن ربه؟ ومن نبيه؟ ويأتيه منكر ونكير. كيف شاء الله وكيف أراد. والإيمان به والتصديق به، والإيمان بشفاعة النبي، صلى الله عليه وسلم، وبقوم يخرجون من النار بعد ما احترقوا وصاروا فحمًا. فيؤمر بهم إلى نهر على باب الجنة. كما جاء الأثر. كيف شاء الله. وكما يشاء، إنما هو الإيمان به والتصديق به. والإيمان أن المسيح الدجال خارج مكتوب بين عينيه «كافر» والأحاديث التي جاءت فيه. والإيمان بأن ذلك كائن، وأن عيسى ينزل فيقتله بباب لدّ، والإيمان قول وعمل، يزيد وينقص. كما جاء في الأثر «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا**»[٢] و «**من ترك الصلاة فقد كفر**» وليس من الأعمال شيء تركه كفر إلا الصلاة. من تركها فهو كافر، وقد أحل الله قتله. وخير هذه الأمة ـ بعد نبيها ـ أبو بكر الصديق، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان. نقدم هؤلاء الثلاثة، كما قدمهم أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لم يختلفوا في ذلك، ثم بعد هؤلاء الثلاثة:

---

(١) قال شارح الطحاوية «ثبت وزن الأعمال، والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات [شرح الطحاوية ٤٨٣ ط: بشير عيون.

(٢) أخرجه أبوداود (رقم ٤٦٨٢) والترمذي وصححه (٢٦١٢) وأحمد: (٢/ ٢٥٠).

أصحاب الشورى الخمسة: علي بن أبي طالب، والزبير، وطلحة، وعبدالرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص. كلهم يصلح للخلافة. وكلهم إمام. ونذهب في ذلك إلى حديث ابن عمر «كنا نَعدُّ ـ ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، حيٌّ، وأصحابه متوافرون ـ أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نسكت[1] ثم بعد أصحاب الشورى: أهل بدر من المهاجرين، ثم أهل بدر من الأنصار من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على قدر الهجرة والسابقة أولاً، فأولا. ثم أفضل الناس بعد هؤلاء: أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم. القرن الذي بعث فيهم، كل من صحبه سنة، أو شهرًا، أو يومًا، أو ساعة، أو رآه: فهو من أصحابه، له من الصحبة على قدر ما صحبه. وكانت سابقته معه، وسمع منه ونظر إليه. فأدناهم صحبة: هو أفضل من القرن الذين لم يروه. ولو لقوا الله بجميع الأعمال، كما هؤلاء الذين صحبوا النبي، صلى الله عليه وسلم، ورأوه وسمعوا منه، ومن رآه بعينه وآمن به ولو ساعة أفضل بصحبته من التابعين، ولو عملوا كل أعمال الخير. والسمع والطاعة للأئمة، وأمير المؤمنين: البر والفاجر ممن ولي الخلافة، واجتمع الناس عليه ورضوا به، ومن خرج عليهم بالسيف حتى صار خليفة، وسمي أمير المؤمنين، والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر، لا يترك. وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة ماض، ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة. ومن دفعها إليهم أجزأت عنه، برًا كان أو فاجرًا. وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولّى جائزة تامة ركعتان، من أعادهما فهو مبتدع تارك للآثار، مخالف للسنة. ليس له من فضل جمعته شيء إذا لم

(١) رواه البخاري (مع الفتح رقم ٣٦٥٥) وأبوداود (٤٦٢٧) والترمذي (٣٧٠٧).

ير الصلاة خلف الأئمة، من كانوا: برهم وفاجرهم. فالسنة أن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة. لا يكن في صدرك من ذلك شك. ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة، بأى وجه كان بالرضا والغلبة ـ فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم. فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية. ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس. فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق. وقتال اللصوص والخوارج جائز، إذا عرضوا للرجل في نفسه وماله، فله أن يقاتل عن نفسه وماله، ويدفع عنهما بكل ما يقدر. وليس له إذا فارقوه وتركوه أن يطلبهم، ولا يتبع آثارهم، ليس لأحد إلا الإمام أو وُلاة المسلمين، إنما له أن يدفع عن نفسه في مقامه ذلك، وينوي بجهده أن لا يقتل أحدًا. فإن أتى على بدنه في دفعه عن نفسه بالمعركة فأبعد الله المقتول. وإن قُتل هذا في تلك الحال وهو يدفع عن نفسه وماله رجوت له الشهادة، كما جاء في الأحاديث. وجميع الآثار في هذا: إنما أمرت بقتاله، ولم تأمر بقتله، ولا إتباعه، ولا يجهز عليه إن صرع أو كان جريحًا. وإن أتخذه أسيرًا فليس له أن يقتله، ولا يقيم عليه الحد، ولكن يرفع أمره إلى من ولاه الله، فيحكم فيه. ولا نشهد على أحد من أهل القبلة بعمل يعمله بجنة ولا نار. نرجو للصالح. ونخاف عليه. ونخاف على المسيء المذنب، ونرجو له رحمة الله. ومن لقى الله بذنب تجب له به النار تائبًا غير مُصِرٍّ عليه فإن الله يتوب عليه. والله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. ومن لقيه وقد أقيم عليه حد ذلك الذنب في الدنيا فهو كفارته. كما جاء الخبر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم. ومن لقيه مُصرًا غير تائب من الذنوب التي قد استوجب بها العقوبة: فأمره إلى الله تعالى، إن شاء عذبه، وإن شاء غفر له. ومن لقيه

كافرًا عذبه، ولم يغفر له. والرجم حق على من زنى وقد أُحصن، إذا إعترف أو قامت عليه بينة. وقد رجم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ورجمت الأئمة الراشدون. ومن انتقص واحدًا من أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أو أبغضه لحدث كان منه، أو ذكر مساويه: كان مبتدعًا، حتى يترحم عليهم جميعًا، ويكون قلبه لهم سليما. والنفاق هو الكفر، أن يكفر بالله ويعبد غيره، ويظهر الإسلام في العلانية. مثل المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقوله صلى الله عليه وسلم: «**ثلاث من كن فيه فهو منافق**»[١].

هذا على التغليظ، نرويها كما جاءت ولا نفسرها. وقوله: «**لا ترجعوا بعدي كفارا، يضرب بعضكم رقاب بعض**»[٢]، ومثل «**إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار**»[٣] ومثل: «**سباب المسلم فسوق. وقتاله كفر**»[٤] ومثل: «**من قال لأخيه: يا كافر. فقد باء بها أحدهما**»[٥] ومثل: «**كفر بالله من تبرأ من نسب، وإن دق**»[٦] ونحو هذه الأحاديث مما قد صح وحفظ: فإنا نسلم له، وإن لم نعلم تفسيره. ولا نتكلم فيه ولا نجادل فيه، ولا نفسر هذه الأحاديث إلا بمثل ما جاءت، لا نردها إلا بأجود منها. والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا، كما جاء عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «**دخلت الجنة فرأيت قصرا**» «**ورأيت الكوثر**» «**واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء**» «**واطلعت في النار فرأيت كذا وكذا**» فمن زعم أنهما لم تخلقا

(١) وانظر أيضًا باب علامات المنافق من كتاب الإيمان في صحيح البخاري: ١/ ١٤.
(٢) رواه البخاري (مع الفتح رقم ١٢١) ومسلم (٦٠٥) وغيرهما.
(٣) رواه البخاري (٣١) ومسلم (٢٨٨٨) وغيرهما.
(٤) رواه البخاري (٤٨) ومسلم (١١٦) وغيرهما.
(٥) رواه البخاري (٦١٠٣) ومسلم (١١١).
(٦) رواه أحمد ٢/ ٢١٥ والدارمي ٢٨٦٤ وغيرهما.

فهو مكذب بالقرآن، وأحاديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار. ومن مات من أهل القبلة موحدًا يُصلى عليه ويُستغفر له. ولا يُحجب عنه الاستغفار. ولا نترك الصلاة عليه لذنب أذنبه صغيرًا كان أو كبيرًا، أمره إلى الله عز وجل.

٢ ـ والنص الثاني رسالة الإمام أحمد إلى مسدد بن مسرهد والتي قال عنها شيخ الإسلام ابن تيمية «هي مشهورة عند أهل الحديث والسنة من أصحاب أحمد وغيرهم، تلقوها بالقبول، وقد ذكرها عبدالله بن بطة في كتاب الإبانة واعتمد عليها غير واحد كالقاضي أبي يعلى وكتبها بخطه[1] وجاء فيها: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم يدعون من ضل إلى الهدى، وينهون عن الردى، يحيون بكتاب الله الموتى، وبسنة النبي أهل الجهالة والردى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن أثرهم على الناس ينفون عن دين الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا أعنة الفتنة، مختلفين في الكتاب، يقولون على الله وفي الله، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًا كبيرًا، وفي كتابه بغير علم، فنعوذ بالله من كل فتنة مضلة، وصلى الله على محمد، النبي وآله وسلم تسليمًا. أما بعد: وفقنا الله وإياكم لكل ما فيه رضاه، وجنبنا وإياكم كل ما فيه سخطه، واستعملنا وإياكم عمل الخاشعين له، العارفين به، فإنه المسئول، ذلك وأوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم السنة والجماعة؛ فقد علمتم ما حل بمن خالفها، وما جاء فيمن اتبعها فإنه بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**إن الله ليدخل العبد الجنة بالسنة يتمسك بها**» وآمركم أن لا تؤثروا على القرآن شيئًا فإنه كلام الله. وما تكلم الله به فليس بمخلوق، وما أخبر

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام: ٣٩٦/٥.

به عن القرون الماضية فغير مخلوق، وما في اللوح المحفوظ فغير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر بالله، ومن لم يكفرهم فهو كافر. ثم من بعد كتاب الله سنة النبي، صلى الله عليه وسلم، والحديث عنه وعن المهديين من صحابة النبي، والتابعين من بعدهم، والتصديق بما جاءت به الرسل، واتباع السنة نجاة، وهي التي نقلها أهل العلم كابرًا عن كابر، واحذروا رأي جهم فإنه صاحب رأي وخصومات. . . .

والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، زيادته إذا أحسنت، ونقصانه إذا أسأت، ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، فإن تاب رجع إلى الإيمان، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله العظيم، أو يرد فريضة من فرائض الله جاحدًا لها، فإن تركها تهاونًا بها وكسلاً كان في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه. . . .

ونؤمن بالقضاء والقدر خيره وشره، وحلوه ومره من الله، وأن الله خلق الجنة قبل خلق الخلق، وخلق للجنة أهلاً، ونعيمها دائم، فمن زعم أنه يَبيدُ من الجنة (شيء) فهو كافر، وخلق النار[1] وخلق للنار أهلاً، وعذابها دائم؛ وأن (الله) يخرج قومًا من النار بشفاعة رسول الله، وأن أهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم لا محالة، وأن الله كلم موسى تكليمًا، واتخذ إبراهيم خليلاً، والميزان حق، والصراط حق، والأنبياء حق، وعيسى بن مريم عبدالله ورسوله[2]، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بالعرش والكرسي، والإيمن بملك الموت أنه يقبض الأرواح ثم ترد الأرواح إلى الأجساد[3] ويسألون عن الإيمان والتوحيد والرسل[4]، والإيمان بالنفخ في الصُّور، والصور

(١) في المدخل زيادة (قبل خلق الخلق).

(٢) في المدخل زيادة (وكلمته).

(٣) في المدخل زيادة (في القبور).

(٤) في المدخل (والإيمان بمنكر ونكير وعذاب القبر).

قَرن ينفخُ فيه إسرافيل، وأن القبر الذي هو بالمدينة قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم معه أبوبكر وعمر، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الله، والدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيقتله بباب لُدٌّ(١).

وما أنكرته العلماء من أهل السنة(٢) فهو منكر، واحذروا البدع كلها، ولا عين تَطْرِف بعد النبي أفضل من أبي بكر، ولا بعد أبي بكر عين تطرف أفضل من عمر، ولا بعد عمر عين تطرف أفضل من عثمان(٣).

(قال أحمد: كنا نقول أبوبكر وعمر وعثمان ونسكت عن علي حين(٤) صح لنا حديث ابن عمر بالتفصيل)(٥). قال أحمد: هم والله الخلفاء الراشدون المهديون.

وأن نشهد للعشرة أنهم في الجنة، أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبدالرحمن بن عوف وأبوعبيدة بن الجراح فمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم شهدنا له بالجنة، ورفع اليدين في الصلاة زيادة في الحسنات، . والجهر بآمين عند قول الإمام ولا الضالين. والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا يخرج عليهم بالسيف؛ ولا يقاتل في الفتنة، ولا يتألّى على أحد من المسلمين أن يقول: فلان في الجنة وفلان في النار، إلا العشرة الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة، وصفوا الله بما

---

(١) في مراصد الاطلاع ١٢٠٢/٣، لد: بالضم والتشديد، جمع ألد: قرية قرب بيت المقدس، من نواحي فلسطين، يقتل عيسى بن مريم الدجال ببابها.

(٢) في المدخل زيادة (من الشبهة).

(٣) في المنهج الأحمد (ط الأولى) ت محي الدين عبدالحميد زيادة (ولا نعد عثمان عين تطرف أفضل من علي بن أبي طالب) وكذا في المدخل.

(٤) في المدخل، وجلاء العينين (حتى) ولعله الصواب.

(٥) ما بين القوسين غير موجود - في المنهج الأحمد ظ الأولى.

وَصَف به نفسه، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه، واحذروا الجدال مع أصحاب الأهواء، والكف عن مساوىء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، والتحدث بفضائلهم، والإمساك عما شجر بينهم، ولا تشاور أهل البدع في دينك، (ولا ترافقهم) في سفرك؛ ولا نكاح إلا بولي وخاطب وشاهدي عدل؛ والمتعة حرام إلى يوم القيامة، والصلاة خلف كل بر وفاجر، صلاة الجمعة، وصلاة العيدين، والصلاة على من مات من أهل القبلة وحسابهم على الله، والخروج مع كل إمام خرج في غزوة أو حجة، والتكبير على الجنازة أربع، فإن كبر الإمام خمسًا فكبر معه كفعل علي بن أبي طالب. قال عبدالله بن مسعود: كبر ما كبر إمامك، قال أحمد: خالفني الشافعي فقال: إن زاد على أربع تكبيرات تعاد الصلاة. واحتج علي بحديث رسول الله، صلى الله عليه وسلم، أنه صلى على جنازة فكبر أربعًا، والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن: وللمقيم يوماً وليلة، وصلاة الليل والنهار مثنى مثنى، ولا صلاة قبل العيد، وإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتين تحية المسجد؛ والوتر ركعة، والإقامة فردًا.

أحب أهل السنة على ما كان منهم، أماتنا الله وإياكم على الإسلام والسنة، ورزقنا وإياكم العلم، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى.(١).

---

(١) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي ت د التركي ص٢١٦، وانظر: المنهج الأحمد للعليمي: ص٨٧، جلاء العينين للألوسي ص١٨٦، المدخل إلى مذهب أحمد لابن بدران ص٩.

وبعد:

هذه جمل من معتقد الأئمة الأربعة واصول الاعتقاد عند الأئمة وسلف الأمة واحدة كما تبين، **ولذا قال الإمام البخاري** - رحمه الله - حاكيًا مذهبهم على سبيل العموم: -

لقيت أكثر من ألف رجل من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة وواسط وبغداد والشام ومصر: لقيتهم كرات قرنًا بعد قرن ثم قرنًا بعد قرن(١)، أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ست وأربعين سنة، أهل الشام ومصر والجزيرة مرتين والبصرة أربع مرات في سنين ذوي عدد. بالحجاز ستة أعوام ولا أحصي كم دخلت الكوفة وبغداد مع محدثي أهل خراسان منهم: المكي بن إبراهيم ويحيى بن يحيى وعلي بن الحسن بن شقيق وقتيبة بن سعيد وشهاب بن معمر.

وبالشام: محمد بن يوسف الفريابي وأبا مسهر عبدالأعلى بن مسهر وأبا المغيرة عبدالقدوس بن الحجاج وأبا اليمان الحكم بن نافع ومن بعدهم عدة كثيرة.

وبمصر: يحيى بن كثير وأبا صالح - كاتب الليث بن سعد - وسعيد بن أبي مريم وأصبغ بن الفرج ونعيم بن حماد.

وبمكة: عبدالله بن يزيد المقري والحميدي وسليمان بن حرب قاضي مكة وأحمد بن محمد الأزرقي.

وبالمدينة: إسماعيل بن أبي أويس ومطرف بن عبدالله وعبدالله بن نافع الزبيري وأحمد بن أبي بكر أبا مصعب الزهري وإبراهيم بن حمزة الزبيري وإبراهيم بن المنذر الحزامي.

وبالبصرة: أبا عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني وأبا الوليد هشام بن عبدالملك والحجاج بن المنهال وعلي بن عبدالله بن جعفر المديني.

---

(١) أراد هنا بالقرن: الطبقة من العلماء (المحقق).

وبالكوفة: أبا نعيم الفضل بن دكين وعبيدالله بن موسى وأحمد بن يونس وقبيصة بن عقبة وابن نمير وعبدالله وعثمان ابنا أبي شيبة.

وببغداد: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين وأبا معمر وأبا خيثمة وأبا عبيد القاسم بن سلام.

ومن أهل الجزيرة: عمرو بن خالد الحراني.

وبواسط: عمرو بن عون وعاصم بن علي بن عاصم.

وبمرو(٣): صدقة بن الفضل وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي.

واكتفينا بتسمية هؤلاء كي يكون مختصرًا وأن لا يطول ذلك فما رأيت واحدًا منهم يختلف في هذه الأشياء:

أن الدين قول وعمل وذلك لقول الله: **﴿وما أمروا إلا ليعبدو الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة﴾**[سورة البينة، آية: ٥].

وأن القرآن كلام الله غير مخلوق لقوله: **﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخراتٌ بأمره﴾** [سورة الأعراف، الآية: ٥٤].

قال أبو عبدالله محمد بن إسماعيل: قال ابن عيينة: فبين الله الخلق من الأمر لقوله: ﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾[سورة الأعراف، الآية: ٥٤].

وأن الخير والشر بقدر لقوله: **﴿قل أعوذ برب الفلق من شر ما خلق﴾** [سورة الفلق، آية: ١-٢]، ولقوله: **﴿والله خلقكم وما تعملون﴾** [سورة الصافات،

---

(١) مرو - بفتح ثم سكون - مدينة تسمى: مرو الشاهجان وهي من أشهر مدن خراسان/ معجم البلدان / ٥: ١٢ (المحقق).

آية: ٩٦]، ولقوله: ﴿إنا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [سورة القمر، آية: ٤٩].

ولم يكونوا يكفرون أحدًا من أهل القبلة بالذنب لقوله: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ [سورة النساء، آية: ٤٨].

وما رأيت فيهم أحدًا يتناول أصحاب محمد، صلى الله عليه وسلم، قالت عائشة: «أمروا أن يستغفروا لهم، وذلك قوله: ﴿ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلًا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [سورة الحشر، آية: ١٠].

وكانوا ينهون عن البدع ما لم يكن عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأصحابه لقوله: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا﴾[سورة آل عمران، آية: ١٠٣]، ولقوله: ﴿وإن تطيعوه تهتدوا﴾ [سورة النور، آية: ٥٤].

ويحثون على ما كان عليه النبي، صلى الله عليه وسلم، وأتباعه لقوله: ﴿وأن هذا صراطي مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ [سورة الأنعام، آية: ١٥٣].

وأن لا ننازع الأمر أهله لقول النبي، صلى الله عليه وسلم: «ثلاث لا يغل عليهن قلب أمرىء مسلم: إخلاص العمل لله وطاعة ولاة الأمر ولزوم جماعتهم. فإن دعوتهم تحيط من ورائهم»[1] ثم أكد في قوله: «أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم».

وأن لا يرى السيف على أمة محمد، صلى الله عليه وسلم.

وقال الفضيل: لو كانت لي دعوة مستجابة لم أجعلها إلا في إمام لأنه إذا صلح الإمام أمن البلاد والعباد.

قال ابن المبارك: يا معلم الخير من يجترىء على هذا غيرك.

---

(١) هذا حديث ورد عن جماعة من الصحابة/ انظر سنن الترمذي/ح: ٢٦٥٨ والمسند/٤: ٨٠، ٨٢، ١٨٣، وجامع الأصول/١: ٢٦٥/ومجمع الزوائد/١: ١٣٧ - ١٣٩.

وكما حكى الامام البخاري اعتقاد عامة الأئمة، فنجد أبا زرعة وأبا حاتم - رحمهما الله - يبينان اعتقاد أهل العلم والسنة في أصول الدين كما يروي اللالكائي بسنده عن أبي محمد عبدالرحمن بن أبي حاتم قال:

سألت أبي وأبا زرعة عن مذاهب أهل السنة في أصول الدين وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار وما يعتقدان من ذلك؟ فقالا: أدركنا العلماء في جميع الأمصار - حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا - فكان من مذهبهم:

الإيمان قول وعمل يزيد وينقص.

والقرآن كلام الله غير مخلوق. بجميع جهاته.

والقدر خيره وشره من الله - عز وجل -.

وخير هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام: أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب عليهم السلام.

وهم الخلفاء الراشدون المهديون.

وأن العشرة الذين سماهم رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وشهد لهم بالجنة على ما شهد به رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وقوله الحق.

والترحم على جميع أصحاب محمد والكف عما شجر بينهم.

وأن الله - عز وجل - على عرشه بائن من خلقه كما وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله، صلى الله عليه وسلم، بلا كيف؟ أحاط بكل شيء علمًا ﴿**ليس كمثله شيْء وهو السميع البصير**﴾ [سورة الشورى، آية: ١١].

وأنه تبارك وتعالى يُرى في الآخرة: يراه أهل الجنة بأبصارهم ويسمعون كلامه كيف شاء. وكما شاء.

والجنة حق والنار حق، وهما مخلوقان لا يفنيان أبدًا والجنة ثواب لأوليائه والنار عقاب لأهل معصيته إلا من رحم الله - عز وجل -.

والصراط حق .

والميزان حق . له كفتان توزن فيه أعمال العباد حسنها وسيئها حق .

والحوض المكرم به نبينا حق .

والشفاعة حق .

والبعث من بعد الموت حق .

وأهل الكبائر في مشيئة الله ـ عز وجل ـ .

ولا نكفر أهل القبلة بذنوبهم ونكل أسرارهم إلى الله ـ عز وجل ـ .

ونقيم فرض الجهاد والحج مع أئمة المسلمين في كل دهر وزمان .

ولا نرى الخروج على الأئمة ولا القتال في الفتنة ونسمع ونطيع لمن (ولاه) الله ـ عز وجل ـ أمرنا ولا ننزع يدًا من طاعة ونتبع السنة والجماعة ونجتنب الشذوذ والخلاف والفرقة .

فإن الجهاد ماض منذ بعث الله ـ عز وجل ـ نبيه عليه الصلاة والسلام إلى قيام الساعة مع أولي الأمر من أئمة المسلمين لا يبطله شيء .

والحج كذلك ودفع الصدقات من السوائم إلى أولي الأمر من أئمة المسلمين .

والناس مؤمنون في أحكامهم ومواريثهم ولا ندري ما هم عند الله ـ عز وجل ـ .

فمن قال أنه مؤمن حقًا فهو مبتدع ومن قال : هو مؤمن عند الله فهو من الكاذبين . ومن قال : هو مؤمن بالله حقًا فهو مصيب .

والمرجئة المبتدعة ضُلال .

والقدرية المبتدعة ضُلال .

فمن أنكر منهم : أن الله ـ عز وجل ـ لا يعلم مالم يكن قبل أن يكون فهو كافر .

وأن الجهمية كفار.

وأن الرافضة رفضوا الإسلام[1].

والخوارج مراق.

ومن زعم أن القرآن مخلوق فهو كافر بالله العظيم كفرًا ينقل عن الملة، ومن شك في كفره ممن يفهم فهو كافر.

ومن شك في كلام الله ـ عز وجل فوقف شاكًا فيه يقول لا أدري مخلوق أو غير مخلوق فهو جهمي.

ومن وقف في القرآن جاهلاً عُلم وبُدّع ولم يكفر.

ومن قال لفظي بالقرآن مخلوق فهو جهمي أو القرآن بلفظي مخلوق فهو جهمي.

قال أبو محمد وسمعت أبي يقول:

وعلامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر. وعلامة الزنادقة: تسميتهم أهل السنة حشوية يريدون إبطال الآثار.

وعلامة الجهمية: تسميتهم أهل السنة مشبهة[2].

وعلامة القدرية: تسميتهم أهل الأثر مجبرة[3].

وعلامة المرجئية: تسميتهم أهل السنة مخالفة ونقصانية[4].

---

(١) هذا أحد أقوال خمسة في سبب تسميتهم بالرافضة عرضت لها في أصول الشيعة ١/١٠٧ - ١٠٨.

(٢) لأن أهل السنة يصفون الله عزّ وجلّ بما وصف به نفسه وهم يردون ماورد من ذلك أو يؤلونه بغير معناه الصحيح. (المحقق) وأهل السنة في صفات الله وسط بين الجهمية المعطلة، والمشبهة الممثلة.

(٣) أهل السنة يقولون كل شيء بقدر الله وهذا في زعم القدرية جبر للعباد ـ نستغفر الله ـ ولهذا يسمونهم جبرية. (المحقق) وأهل السنة وسط بين هؤلاء القدرية النفاة والجبرية العصاة.

(٤) أهل السنة يقولون: أن الإيمان يزيد وينقص وأما المرجئية فيزعمون أن الإيمان لا يتجزأ ـ أي لا يزد ولا ينقص - ولهذا يسمون أهل السنة نقصانية. (المحقق) وأهل السنة وسط بين هؤلاء المرجئة، والوعيدية من الخوارج والمعتزلة.

وعلامة الرافضة: تسميتهم أهل السنة ناصبة[١].

ولا يلحق أهل السنة إلا اسم واحد ويستحيل أن تجمعهم هذه الأسماء.

قال أبو محمد:

وسمعت أبي وأبا زرعة: يأمران بهجران أهل الزيغ والبدع يغلظان في ذلك أشد التغليظ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار

وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين ويقولان لا يفلح صاحب كلام أبدًا.

قال أبو محمد: وبه أقول أنا.

وقال أبو علي بن حبيش المقري: وبه أقول.

قال شيخنا ـ (ابن المظفر)[٢] :ـ وبه أقول.

وقال شيخنا: يعني المصنف ـ وبه أقول.

وقال الطريثيثي: وبه أقول.

وقال شيخنا السلفي: وبه نقول[٣].

ووجدت في بعض كتب أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الرازي ـ رحمه الله ـ **مما سمع منه يقول:** مذهبنا واختيارنا إتباع رسول الله، صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين ومن بعدهم بإحسان وترك النظر في

---

(١) تزعم الرافضة أن أهل السنة الذين يقدمون الشيخين في الخلافة أن هذا عداء منصوب لعلي وآل البيت وأهل السنة من ذلك براء فهم يقدمون من قُدم معتمدين على النصوص الواردة في ذلك ولا علاقة بين ذلك وبين الحب والتقدير لآل البيت. وحب آل البيت جزء من عقيدة أهل السنة والجماعة. (المحقق) وأهل السنة هم الوسط في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج.

(٢) من حاشية الأصل. (المحقق).

(٣) من قوله (وقال شيخنا ـ يعني المصنف ـ. . إلخ) ليس في: هـ. وهذا التسلسل في القول وقع فيه اضطراب في الأصل اجتهدت في تصحيحه (المحقق).

موضع بدعهم والتمسك بمذهب أهل الأثر مثل: أبي عبدالله أحمد بن حنبل وإسحاق بن إبراهيم وأبي عبيد القاسم بن سلام والشافعي. ولزوم الكتاب والسنة والذب عن الأئمة المتبعة لآثار السلف واختيار ما اختاره أهل السنة من الأئمة في الأمصار مثل:

مالك بن أنس في المدينة والأوزاعي بالشام والليث بن سعد بمصر، وسفيان الثوري وحماد بن زياد بالعراق، من الحوادث مما لا يوجد فيه رواية عن النبي، صلى الله عليه وسلم، والصحابة والتابعين.

وترك رأي الملبسين المموهين المزخرفين الممخرقين الكذابين.

وترك النظر في كتب الكرابيس[1] ومجانبة من يناضل عنه من أصحابه. وشاجر ديه[2] مثل: داود الأصبهاني وأشكاله ومتبعيه.

والقرآن كلام الله وعلمه وأسماؤه وصفاته وأمره ونهيه ليس بمخلوق بجهة من الجهات.

ومن زعم أنه مخلوق مجعول فهو كافر بالله كفرًا ينقل عن الملة. ومن شك في كفره ممن يفهم ولا يجهل فهو كافر.

والواقفة واللفظية جهمية. جَهَّمهم أبو عبدالله أحمد بن حنبل.

والاتباع للأثر عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وعن الصحابة والتابعين بعدهم بإحسان.

وترك كلام المتكلمين وترك مجالستهم وهجرانهم وترك مجالسة من وضع الكتب بالرأي بلا آثار.

واختيارنا أن الإيمان: قول وعمل إقرار باللسان وتصديق بالقلب

---

(١) كذا في المطبوعة من كتاب اللالكائي ولعله الكرابيسي الحسين بن علي تكلم الأئمة فيه بسبب (مسألة اللفظ) وكلامه في أحمد، قال الإمام أحمد: إياك إياك وهذا الكرابيسي لا تكلمه ولا تكلم من يكلمه [ترجمته وما قيل فيه فى: الثقات لابن حبان: ٨/١٨٩، تاريخ بغداد: ٨/٦٤ - ٦٧، الأنساب للسمعاني: ١١/٥٨، لسان الميزان: ٢/٣٠٣ - ٣٠٥].

(٢) . كذا ولعله واشكاله كما جاء ذلك في مصادر أخرى لهذا النص.

وعمل بالأركان، مثل الصلاة والزكاة لمن كان له مال، والحج لمن إستطاع إليه سبيلاً. وصوم شهر رمضان وجميع فرائض الله التي فرض على عباده: العمل به من الإيمان.

والإيمان يزيد وينقص.

ونؤمن بعذاب القبر.

وبالحوض المكرم به النبي، صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بالمساءلة في القبر.

وبالكرام الكاتبين.

وبالشفاعة المخصوص بها النبي، صلى الله عليه وسلم.

ونترحم على جميع أصحاب النبي، صلى الله عليه وسلم ولا نسب أحدًا منهم لقوله ـ عز وجل ـ: ﴿والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾[سورة الحشر، آية: ١٠].

والصواب نعتقد(١) أن الله على عرشه بائن من خلقه: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [سورة الشورى، آية: ١١].

ولا نرى الخروج على الأئمة ولا نقاتل في الفتنة ونسمع ونطيع لمن ولى الله ـ عز وجل ـ أمرنا.

ونرى الصلاة والحج والجهاد مع الأئمة ودفع صدقات المواشي إليهم.

ونؤمن بما جاءت به الآثار الصحيحة بأنه يخرج قوم من النار من الموحدين بالشفاعة.

ونقول إنا مؤمنون بالله ـ عز وجل ـ. وكره سفيان الثوري أن يقول:

---

(١) هكذا في كلا النسختين.

أنا مؤمن حقًا عند الله ومستكمل الإيمان وكذلك قول الأوزاعي أيضًا.

وعلامة أهل البدع: الوقيعة في أهل الأثر.

وعلامة الجهمية: أن يسموا أهل السنة مشبهة ونابتة.

وعلامة القدرية: أن يسموا أهل السنة مجبرة.

وعلامة الزنادقة: أن يسموا أهل الأثر حشوية. ويريدون إبطال الآثار عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

وفقنا الله وكل مؤمن لما يحب ويرضى من القول والعمل، وصلى الله على محمد وآله وسلم[1].

وبعد:

فلا عجب أن يتفق الأئمة وسلف الأمة في الاعتقاد لأنهم يأخذون من منبع واحد لا يتغير ومصدر لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ويتلقون عن صاحب الوحي الذي لا ينطق عن الهوىٰ، إن هو إلا وحي يوحىٰ.

وما كان من عند الله جل شأنه لا اختلاف فيه ولا تغير: **﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافًا كبيراً﴾**.

وما جاء به صلوات الله وسلامه عليه في أصول الدين هو امتداد لما جاء به إخوانه من الأنبياء والمرسلين قبله: **﴿شرع لكم من الدين ما وصىٰ به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسىٰ أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه﴾**.

وأنبياء الله أخوة كما قال، صلى الله عليه وسلم: «... **الأنبياء**

---

(١) هذا النص وحاشيته منقول بحروفه من شرح أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي بتحقيق (أحمد سعد حمدان).

أخوة . . »[١]. ودينهم واحد كما قال صلوات الله وسلامة عليه : «**إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد**»[٢]. يبشر السابق باللاحق، ويؤيد اللاحق السابق، وأمة الإسلام أمة واحدة.

﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصبحه أجمعين إلى يوم الدين . . . . .

---

(١) رواه البخاري : ٤/١٤٢ وغيره .

(٢) تقدم تخريجه .

فهرس الموضوعـات

إشراف وتنفيذ
دار أولي النهى
للطباعة والنشر
بيروت - شارع المرفأ - بناية الصحناوي - ص.ب: ١١-٧٠٩٣٠
فاكس: ٥٨١٢٥٩ هاتف: ٥٨٠٢٤١ - ٥٨١٤٩٧ - ٥٨١٢٦٥

توزيـع:
مؤسسة الجريسي للتوزيع والاعلان
الرياض ١١٤٣١ - ص.ب: ١٤٠٥
☎ ٤٠٢٢٥٦٤ - فاكس ٤٠٢٣٠٧٦

الصف والإخراج: مركز خدمة المؤلف ت: ٤٦٢٠٦٩١